٢٧١

HARLEQUIN

روايات احلام

لحن الشتاء

كاتي ويليامز

www.elromancia.com
مترجمة

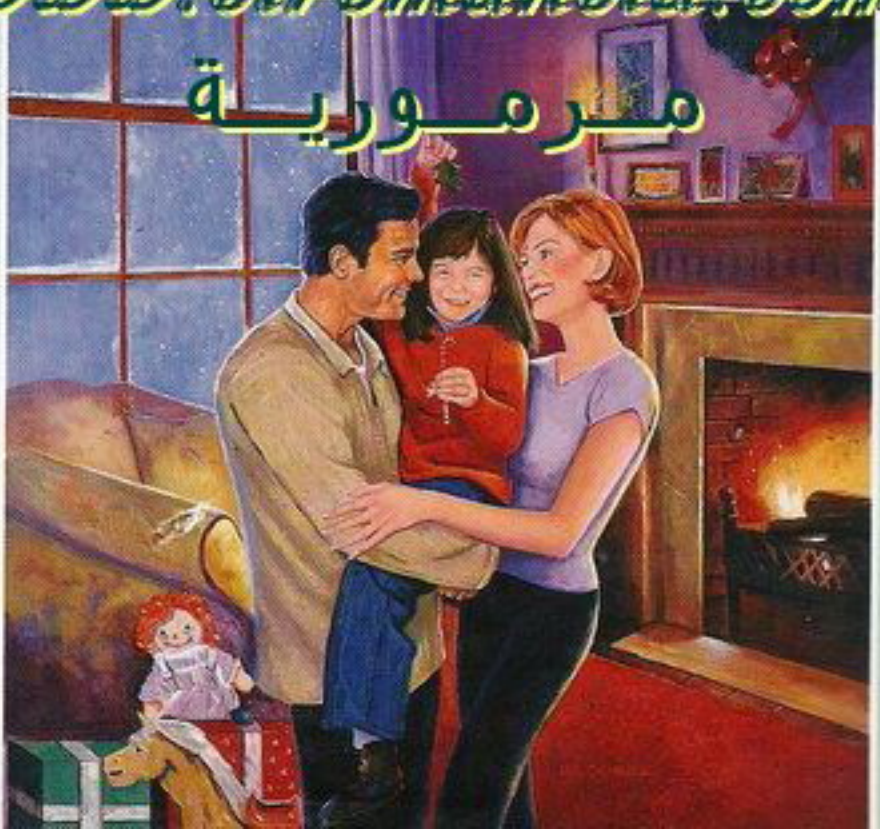

لحن الشتاء

مال نيكولاس كندال نحو ليغ وعلى وجهه تهديد أسود جعل ليغ ترتدّ إلى الوراء.

- إذا كنتِ تحاولين ابتزازي فقد أخطأتِ العنوان.

أجابت ليغ: «لا أنوي أبداً ابتزازك. ما جئت إلى هنا إلا لأخبرك بأنك أب لفتاة عمرها سبع سنوات!».

ماذا كانت تتوقع من نيكولاس كندال بعد هذا الخبر؟ وكيف يمكن أن تنجو منه؟ قد تكون مستعدة لتحمّل كل شيء في سبيل الحفاظ على آيمي! لكن.. ليس الزواج من غريب؟!!!

www.elromancia.com

كاثي وليامز

ولدت «كاثي» في جزيرة «ترينيداد» وترعرعت في «توباغو». نالت منحة دراسية فسافرت إلى بريطانيا. في جامعة «إيكسيتر» أكملت دراسة المادة التي لطالما عشقتها وهي اللغات والأدب. وفي «انكلترا» التقت زوجها «ريتشرد»، وهما يعيشان الآن في بريطانيا مع بناتهما الثلاث. أقاما بداية في «وادي التيمز» وبعدها في «ميدلاندز».

١ ـ هبة للعيد

كان قرار الاتصال «بنيكولاس كندل» صعباً. لقد أتى بعد شهور من التفكير وبعدما استُنفِذَ كل خيار آخر.

أو، هذا ما تبين «لليغ» على الأقل. ومن ثم، برز تساؤل كبير عن سبل إقامة إتصال معه. هل ينبغي عليها الاتصال؟ إذ لا يمكن معالجة موضوع بهذه الضخامة عبر الهاتف. هل ينبغي عليها فقط معرفة مكان سكنه ومفاجأته بالزيارة؟ لا، فقد يموت لفرط الصدمة. لم تكن لديها فكرة عن مدى تقدّمه في السن أو مدى تحمل قلبه لصدمة كهذه. ولكن الرسالة عُهدت إليها.

وعندما تراه كم يجب عليها أن تقول؟ عليها أن تذكي فضوله لئلا يصرف النظر عن المسألة برمتها. وفي النهاية، إنها تعلم القليل عن الرجل. لقد أخبرتها جيني عنه في تصريح عاطفي مفاجيء، ولكن سرير المستشفى لا يعد مكاناً مثالياً لطرح كل تلك التساؤلات التي ارتسمت على الفور في ذهنها فحطمّت في غضون عشر دقائق حافلة، الواجهة الهادئة والقانعة التي سادت حياة شقيقتها. والآن، لم تعد جايني هنا لتخبرها بأي شيء أبداً.

لقد بعثت الرسالة منذ عشرة ايام وهي الآن تحملّ الردَّ في يدها.

www.elromancia.com

أحست تماماً بما تصورت أنها قد تشعر به، ألا وهو التردد. هل قامت بالعمل الصواب؟ هل خانت ثقة شقيقتها أم هل كانت شقيقتها، لو كانت حية، ستتفهم ما أقدمت عليه مكرهة؟ ونظرت إلى رزمة الورق السميك وإلى الخطوط السوداء عليها وتمنت لو لم تجد نفسها في هذا الوضع.

ـ ماذا دهاك؟

نظرت ليغ إلى أعلى وخبأت الرسالة بسرعة في جيب كنزتها ثم هزت رأسها مبتسمة للطفلة التي كانت تحدّق فيها بجد. نظرت إلى ابنة أختها بمحبة محاولة إخفاء إمارات القلق عن وجهها وقالت لها: «لا أبداً. هل سرحت شعرك يا آيمي؟ لا يمكنك الذهاب إلى المدرسة هكذا؟».

يمكن للأولاد أن يكونوا حذقين في قراءة مشاعر الآخرين، ويستحسن أن تستبعد «آيمي» عن هذه الأمور فلقد عانت بما فيه الكفاية.

عندها، قالت آيمي بصوت منخفض: «إنه المنزل، أليس كذلك؟ سينتزعونه منّا، لا؟».

وغار قلب ليغ: «ما الذي يجعلك تتفوهين بذلك، بحق الله؟».

ـ سمعتك تتكلمين مع كارول عن الموضوع عبر الهاتف مساء أمس.

حدّقا إلى بعضهما بعضاً وشعرت ليغ مجدداً بالعجز يغمرها. إنه عجز عن مواجهة أحداث لا تملك سيطرة عليها، وكأن إعصاراً داهمها. كانت عاجزة حتى عن الهروب بعيداً بسبب وجود آيمي، ابنة شقيقتها التي تحتاج إلى رعاية. آه، يا إلهي! كيف بإمكانها شرح ما يجري بحق الله؟ فقالت لآيمي مؤنّبة: «كان يجدر بك النوم يا آيمي».

وصمتت هذه الصغيرة التي كانت مرتدية زيّ الدراسة الشتوي. إنها طفلة لا تتعدى السبع سنوات.. شعرها قاتم طويل ومهيب وعيناها خضراوان. فقالت ليغ: «أجل عزيزتي، نواجه بعض المشاكل بالنسبة للبيت وأنا أعمل على حلّها».

ـ هل سنضطر للرحيل؟

صمتت ليغ متنهدة: «سنرى. أجل، قد نضطر إلى ذلك».

فسألت الطفلة هامسة بصوت عالٍ: «ولكنك لن تتركيني. أليس كذلك؟».

جثت ليغ على الأرض وأمسكت وجه الطفلة بين يديها. لم تكن تلك المرة الأولى التي تضطر فيها ليغ لإقناع قريبتها بأنها لن تختفي وبأنها ستكون حاضرة عندما يحل المساء وعندما يطلّ الصباح.

لقد أطلعت الإخصائية النفسية في المدرسة ليغ بأن عليها توقع ردة الفعل هذه التي قد تدوم لسنوات جرّاء ما حدث لوالدي آيمي. هذا التصرف دليل حاجة للطمأنينة ونزعة إلى التشبث بالدعم الوحيد الذي بقي لها في حياتها.

قالت ليغ بتفهم: «مستحيل أيتها الصغيرة فأنت عالقة معي، شئتِ ذلك أم أبيتِ. والآن، أصلحي شعرك، ثم تناولي الفطور واذهبي بعدها إلى المدرسة. فإن بقينا على هذه الحال فلن يمكننا الانطلاق».

سرّحت ليغ شعر آيمي الطويل إلى الوراء وقبلتها على جبينها مضيفة: «وأسرعي. تعلمين كيف تكون السيدة ستيفنس عندما يتعلّق الأمر بالدقة في المواعيد. سأتلقى موعظة جديدة عن الالتزام بالمواعيد. وعندها، سأتأخر على عملي».

ونزلت إلى الأسفل وهيأت الفطور محاولة قدر الإمكان أن تبدو على طبيعتها. كانت الرسالة القصيرة تثقل جيوبها. لقد وافق نيكولاس كندل على لقائها بعد يومين في نادٍ يملكه في المدينة.. لم تكن هناك أسئلة مطروحة لذا افترضت أنه كان ينتظر ليرى ما ستؤول إليه الأمور. لا بد أنه فضولي ولكن لا يبدو ذلك في رسالته القصيرة. في الواقع، لم يلمّح إلى أي شيء البتة... ليس هناك ما ينبئها أي نوع من الرجال هو.

ليتها تحلّت ببصيرة نافذة لتسأل جيني بضعة أسئلة إضافية في ذلك الوقت، غير أن الظروف التي أعقبت الحادث كانت قاهرة كما أن الاعتراف كان صدمة لها لدرجة أنها لم تستطع سوى الإصغاء بذهول.

يومها صرّحت شقيقتها بضعف وأنفاسها متهدجة: «أعلم أنها صدمة

لك ولكنني لا أريد أن أرحل حاملة معي هذا السرّ. لا يمكنني فعل هذا بك. أحتاج أن أخبرك، أحتاج أن أشرح...».

غير أنّ ليغ لم تنبس ببنت شفة. لقد انتابها ذعر شديد ممّا تسمعه. لطالما كان روي والد آيمي وزوج جيني أو هذا ما كانت دائماً تعتقده.

والآن، تقول لها إنه كان وهماً.. لقد تم إدخال طرف ثالث، رجل آخر، لم تسمع به من قبل في حياتها. لقد كانت مغامرة لليلة واحدة كما قالت، نزوة طارئة قادها إليها اليأس والقنوط، لحظة جنون قرّرتْ تخطيها ولكن كل هذه الأمور عادت لتخيم في المنزل في نهاية المطاف.

وتمنّت ليغ يائسة لو أنها استفهمت قليلاً بدلاً من مجرد الجلوس هناك، فاغرة الفم كما لو أن هذا النوع من المسائل لم يحدث البتة. كل ما أخبرتها إياه شقيقتها في حديثها الأخير المتشعب هو اسم الرجل ومكان إقامته في لندن. وعلى مدى أكثر من سنة ونصف، كبحت ليغ هذه المعلومة الرهيبة في باطن عقلها.

في البداية كان الأمر سهلاً فدفنت الاسم الذي خربشته على قصاصة من الورق في مؤخرة الخزانة.

كان هناك الكثير من الأعمال المتراكمة، الكثير من التدابير لاتخاذها، وكان عليها بالتأكيد الاهتمام بآيمي بعد ما تُوفي والداها معاً.. بدقيقة واحدة، تغيرت حياة ليغ وبعدما كانت ترتاد كلية الفنون وتخطط لمستقبلها كمصممة نماذج في شركة إعلانات وبعد أن كان لديها احلامها الخاصة، أُلقيت على عاتقها مسؤوليات جسام.

وسرعان ما ظهرت المشاكل المادية كوحش مرعب متعدد الرؤوس، يتحرّك في جميع الاتجاهات ويسدّ جميع المخارج. فأعمال الرسم والديكور اللذان كان يعمل عليهما روي، والديكور الداخلي الذي كانت تتولاّه جيني كانت متدهورة بفعل وطأة الأزمة الاقتصادية.

انتظر المحاسب ليغ أسبوعاً واحداً بعد الجنازة ثم اتصل بها للكشف عن أوراقه.

استمعت ليغ إليه مذهولة إذ لم يكن لديها أدنى فكرة عن الحسابات، وحدّقت بارتباك في أوراق الرسول التي أحضرت لها لتطلع عليها.

قالت بنبرة تشوبها الفظاظة: «ألا يمكننا إيجاد أحد لإدارتها؟ أعني، ماذا سيحل بالموظفين في الشركة؟ بوب، نيكي ودان؟».

هز المحاسب كتفيه بلامبالاة، فما يهمه هو مصلحته.

أضاف بصوت لطيف: «لا فائدة تُرجى من توظيف أحدهم لمحاولة إنقاذ الأعمال.. فكري ملياً في الأمر.. فلن يجدي إنفاق الأموال في توظيف احدهم لتأدية أعمال هي على شفير الانهيار. لم تعد تردنا طلبات للاستعانة بشقيقتك منذ...».

ونظر إلى كومة من الأوراق مضيفاً: «... منذ منتصف السنة. لا أحد يريد إنفاق الاموال على الديكور الداخلي!».

ـ ولكن لا يمكننا أن نخفف! فهناك آيمي! لا استطيع أن أمدّها بالمال! فما زلت في الجامعة...

ـ يمكنك تأجيل دراستك لفترة. اذهبي وحاولي أن تفعلي ما يمكنك. سأقدم لك خدماتي مجاناً...

مضى على ذلك نحو سنة ونصف وخلال هذا الوقت استنفدت كل الوسائل الممكنة. تخلّت عن احلامها المهنية في الفن وقبلت بوظيفة متواضعة مملة لا تعود عليها إلا بقليل من المال وتحوّلت بين ليلة وضحاها إلى سيدة مسنة.

كل هذا لم يكن كافياً فالدائنون الذين كانوا يحومون حولها في البدء بدؤوا يضيّقون عليها تدريجياً ولم ينظر المصرف بعين الرأفة إلى أحوالها. ومع مرور الوقت نصحها المحاسب بالتخلي عن كل شيء فاستسلمت كلياً للهزيمة.. الله وحده يعلم أنه كان بامكانها تحمل الوظيفة المكتبية وتوفير النقود والاستمرار في أحلامها الضائعة ولكن المصرف حجز على منزلهم فكان ذلك ضربة قاضية لها.

حينها فقط، تنبهت إلى قصاصة الورق الموضوعة خلف الخزانة

كتعويذة منسية. قد تشرّع أبواب جهنم أمامها وربما تزداد الأمور سوءاً عما هي عليه إلا أنّ الوقت حانَ لتبدأ المراهنة.

تأرجحت ليغ في اليومين التاليين ما بين الخوف والتفاؤل اليائس.

لقد حافظت أمام آيمي على مظهر فرح لا مبال، ولكن هذا الأمر أضحى مصدر توتر لها وقد تنبهت مرة أو مرتين لنظرات آيمي ابنة اختها القلقة. آلمها كثيراً ألا تستطيع طمأنتها. لم يكن في استطاعتها فعل الكثير. لم تكن هناك قطعاً وعود بالأمان الذي أملت أن توفره لها ولم تقرر بعد ما ستقول لآيمي عندما يحين الوقت لاتخاذ القرارات.. إنها تعلق الآمال على ما سيقوله نيكولاس كندل هذا مع أن الأمر لن يتعدى الاجتماع إلا إنها كانت تتعلق ببصيص من الأمل.

هل هناك رجل يرحب بابتهاج وبذراع مفتوحة عندما يقدم له أحدهم ابنته البالغة سبعة أعوام والتي لم يكن يعلم حتى الآن بوجودها؟

أقصى ما يمكنها تمنيه هو أن يصغي إليها أحدهم على الأقل.

ولكن يا إلهي إنها تعلم القليل عنه. مع أنها في هذه الفترة القصيرة سعت للحصول على معلومات عنه ولم يكن صعباً عليها اكتشاف هويته وقد بذل جهوداً جبارة في الدوائر المالية.

ثري وديناميكي في الظاهر وقد أدرج اسمه على لائحة كبار رجال الأعمال وهذا ما جعلها عصبية جداً.. إنه الرجل الذي وهب الحياة لابنة شقيقتها.

آه يا جين! لماذا؟ ولكن، لم يعد هناك فائدة من البكاء على الأطلال.

لقد اعتنت كثيراً بهندامها صباح يوم الجمعة وهي على يقين بأنه لا يمكنها فعل الكثير بوجهها لانه لن يظهر أجمل، وقد تقبلت هذا الواقع منذ وقت طويل. شعرها الأحمر الناري كان قصيراً جداً ليبدو ملفتاً للنظر وعيناها الشديدتا الزرقة كانتا واسعتين إلى حد أنهما بعيدتان عن الإثارة وطبعاً هناك النمش الذي يشكل القشة الأخيرة لأنه لا يختفي في الصيف أو الشتاء ويقضي على جهودها في إبراز طلة تليق بسنّها بدلاً من الظهور

بمظهر صبياني وكأنها طفل مبكر في نموّه.

أو هذا على الأقل ما تفكر فيه في كل مرة تنظر فيها إلى المرآة..

نظرت الآن في المرآة وتساءلت عما إذا كان ما ستقدم عليه صحيحاً.. إذ لم تكن واثقة تماماً مما تفعله فهي لم تلتقِ قط الرجل ولكنها كانت تعلم أنها مهما ارتدت فستبدو واثقة من نفسها..

جلست آيمي على السرير وراقبت ليغ وهي تعبث بشعر ابنة أختها الطويل، تسرّحه وتضفره.

سألتها الطفلة بعد ما عقصت شعرها بعيداً عن وجهها وجدّلته: «أين تذهبين؟».

ـ ما الذي يجعلك تظنين أنني ذاهبة إلى مكان ما؟

ـ لأنك لا تأخذين عادة كل هذا الوقت لارتداء ملابسك.

واحتجت ليغ محدقة في انعكاس الطفلة في المرآة: «أحياناً أقوم بذلك».

ثم أضافت: «حسناً، أستسلم. فنادراً ما أقوم بذلك ولكنني أظنه سيكون تغييراً إيجابياً. ما رأيك؟».

ودارت حول نفسها ممسكة بطرف تنورتها الحمراء والسوداء التي أخذت تتطاير حولها.

ردّت آيمي بصراحة: «تبدين جميلة».

أوشكت ليغ على احتضانها وتابعت آيمي: «هل تقابلين أحداً؟».

هزت كتفيها وابتسمت بهشاشة: «آه أنت تعلمين، كالمعتاد... ماذا ستفعلين في المدرسة؟».

سألتهاوهي تغيّر الموضوع فالتقت أعينهما: «الرياضيات، العلوم، الرياضة».

وابتسمت ليغ قائلة: «هل حصلت على نتيجة الاختبار الذي أجريته الأسبوع الماضي؟».

أجابت آيمي بكآبة: «سنحصل عليها اليوم».

- يمكننا الذهاب لتناول الهمبرغر والبوظة بعد المدرسة إذا ما أبليت حسناً.

فكرت ليغ بأنها مناسبة نادرة تستحقها آيمي. عندما كانت أوضاعهما المادية جيدة، تناولت ما يكفي من البرغر والمثلجات بقدر حاجتها ولكن بعدما أضحت الأيام صعبة رضيت الطفلة بالواقع ولم تتذمر البتة.. لقد تكيفت بطريقة الأولاد الغريبة في التأقلم وتقبلت ظروفهما القاهرة دون شكوى.

سألت آيمي باهتمام: «وماذا لو رسبت؟».

- حسناً، سنعتني بأنفسنا في شتى الأحوال. فلنقل بأنها جائزة ترضية.

وفكرت ليغ بأنها ستكون على المركب نفسه مع حلول الرابعة من بعد الظهر. وسواء أكانت الأمور جيدة أم لا، فسأشعر بالراحة لمجرد تناول البرغر والبوظة بعدها. وأخبرت ليغ ابنة اختها بعد إعادة النظر: «لا يهم ما إذا نجحت أو فشلت في امتحان اللغة ذاك ما دمت تبذلين كل جهدك في المحاولة».

- هذا ما تقوله السيدة سبنسر باستمرار.

- حسناً، لقد تبينت بنفسك بأنه لا يمكننا أن نخطىء نحن الاثنتين. اليس كذلك؟

والتفتت إلى الوجه الصغير على السرير وعبست له مطمئنة. لكن ما رأته، لم يكن آيمي الجالسة على السرير عاقدة رجليها بل وجه ذاك الرجل عندما ستخبره بالخبر.

وغاص رأسها في الكنزة الصوفية ذات القبة العالية ثم تفحصت نفسها في المرآة مجدداً عندما كانا على وشك مغادرة المنزل.

نظرت فوجدت أن لا بأس بمظهرها.. فهي تبدو أنيقة ومرتبة الأمر الذي أحدث فيها تغييراً.

كانت ألوان تنورتها الحمراء والسوداء متناسقة هذه المرة مع الكنزة العالية الياقة التي تبدو من خلال المعطف الأسود الذي ارتدته لأن الطقس

كان شديد البرودة.. وكانت قد انتعلت حذاء أسود لاعتقادها بأن القاتم من الألوان جذاب، ومناسب تماماً ومكمّل للمهمة التي بين يديها.

أوّل ما فعلته هو إيصال آيمي إلى المدرسة وعليه بقي أمامها ساعة ونصف ستتلوى فيهما ليغ من حمى الانتظار.

لم تكن أبداً بمثل صلابة وحزم شقيقتها. لطالما كانت جيني تحميها من المشاكل المضنية، أما هي فلم تبدأ بإظهار قدراتها إلا في الأشهر الستة عشر الأخيرة فقط.. كانت ليغ تعلم أن ذلك عائد إلى التردُّد الذي بدأ يزحف بعيداً عنها إضافة إلى يقينها بأن كل شيء بات يعتمد عليها، مستقبل آيمي بكامله يرزح على كتفيها بسبب عدم وجود أقرباء آخرين للاستعانة بهم.. ليس من جد أو جدّة لإيكال الطفلة إليهم وليس من أعمام أو أخوال لإشراكهم بالمسؤولية. لم تفتقد ليغ وجود عائلة قربها بقدر ما تفتقده الآن.

لم يكن لديها حتى صديق لتتكل عليه، أو شخص يمدّها بالقوة. صحيح أنه كان لديها شخص حسّاس، مزاجي، وفنان. إنه مايك بشعره الطويل المعقود إلى الوراء على شكل ذيل حصان.

كان يحتقر الطبقة البورجوازية، غير أن علاقتهما لم تدم إذ يبدو أنه لم يكن يهوى المسؤولية لأن فكرة مساعدتها في تحمّل عبء تربية طفلة صغيرة كان بالنسبة له مجهوداً فائقاً فأخبرها مرة: «أنا إنسان حر ولا يمكنك تكبيلي بقيود».

وهكذا كان. لا تستطيع ليغ التفكير في الأمر من دون أن تحس بطعم المرارة الحاد في فمها.

وجدت صعوبة في إيجاد النادي الذي كان بعيداً جداً عن محطة المترو وبما أنها لا تستطيع تحمُّل أجرة تاكسي كان عليها أن تمشي المسافة المتبقية ولكنها تاهت عدة مرات على الطريق رغم كونها مرقّمة.

كانت تشعر بالإرهاق تماماً حين وصلت أمام النادي الذي يشبه واجهة منزل من الطراز الجيورجي.

أحست أن ساقيها اللتين قطعتا تلك المسافة قد تسمّرتا أرضاً. لم يعد بإمكانها تحريك عضلة واحدة فيهما أو التقدم خطوة واحدة. اكتفت بالوقوف هناك دون حراك وسط زحمة المشاة. كان شعرها يتطاير في كل اتجاه وكان هواء تشرين يلفح خديها ويوردّهما فبدت عيناها لامعتين.

عندما أحست بالبرد ينخر عظامها، سحبت نفساً عميقاً وتقدمت. أحست لدى دخولها إلى ذلك المبنى بأنها في عالم آخر. حبست لبغ أنفاسها ونظرت من حولها من دون أن تركز على شيء معين.

السكون يعم المكان، لا يقطعه أي صوت... وكأن القرن العشرين موجود فقط في الخارج.

كان الإثاث ثميناً رغم لونه الباهت وقد أعادها إلى القصور الريفية المتوارثة عبر الأجيال.

نظرت حولها بغرابة فأحست بأن ما ترتديه لا يناسب هذا المكان فثيابها المنتقاة بعناية كانت مزرية في مكان كهذا. لمست بأصابعها شعرها القصير في حركة عصبية واستجمعت شجاعتها وشرعت بالبحث عن صالة الطعام، ولكن منعها من الدخول رجل متوسط العمر، انتصب امامها وسألها بحدة عما إذا كانت عضواً فردت: «لا، ولكن...».

فقال وهو يتفحصها من أعلى إلى أسفل لتفقد حالها: «هذا المبنى ليس مفتوحاً أمام العامة».

بدا عليه أنه يكره النساء عامة سواءاً كن ينتمين إلى النادي أم لا. أما واقع أنها ليست عضواً في النادي، فقد أحالها بنظره إلى موقع الذين لا يستحقون الاهتمام. وضع يده على ذراعها فتراجعت لبغ حانقة: «انتظر لحظة!».

ـ الآن يا آنسة!

حدق فيها الرجل بنفاد صبر فيما قسا صوته: «آمل ألا أواجه معك أية متاعب».

والعكس صحيح، فكرت لبغ بحدة ولكنها ضبطت أعصابها وقالت

ببرود، فيما كان يرمقها بنظرة شك: «لدي موعد للقاء احد هنا».

ـ ومن هو؟

ـ يدعى نيكولاس كندال.

كان الاسم كافياً لإحداث تغيير جذري في الرجل الذي ابتسم بجهد رغم أن ابتسامته كانت...

ولكنه قاطع حبل أفكارها: «طبعاً، آنسة...؟».

ـ واكر.

ـ آه، آنسة واكر. هلا تفضلت باللحاق بي لأدلك على طاولة السيد كندال.

وقادها وهو يتكلم طول الوقت: «أعتذر إذا بدوت فظاً آنسة واكر ولكن لا يمكننا إلا الالتزام بالحذر هنا، ففي الشتاء تحديداً يتجرأ الناس على اللجوء إلى هنا احتماءً من البرد. يعتقد السوّاح خطأ أنه نوع من المطعم المفتوح للناس».

تردّد قليلاً ثم أضاف بصوت خفيض: «مغفلون تماماً».

وعاد يكمل بصوت عالٍ: «أما بعضهم الآخر فيحاولون بكل بساطة الدخول للاحتماء من البرد».

وقد عنى بـ «الآخرين» الأشخاص غير المرغوب فيهم.

لم تتفوّه لبغ بكلمة بل جالت بنظرها في محيط غرفة الجلوس الواسعة ذات اللون البني القاتم.. التي كان يسودها جو السكون حيث جلس رجال الأعمال مع بعض سيدات الأعمال على الكراسي المريحة، يقرؤون الصحف وهم يتناولون الغداء أو يتهامسون بصوت منخفض.

أحست أنه من الامكنة التي تحوي وجوهاً معروفة كالسياسيين أو النجوم. لم ينظر إليها أحد وهي تمر، الأمر الذي أثار فضولها. تجاوزا صفوفاً من الكراسي في مكان بدا لها مكتبة فيها كنبات جلدية موضوعة عشوائياً على ما يبدو ومن ثم دخلا صالة الطعام الرسمية وهناك أحست بضيق في معدتها وبتقلصات مؤلمة في معدتها فاللحظة الحاسمة قد دنت.

تبعت دليلها كالعمياء وهي تحدّق مباشرة إلى ظهر دليلها في محاولة يائسة لتفادي المحتوم ولم تركز انتباهها إلا عندما توقفا وتنبهت إلى رجل جالس على الطاولة أمامها.

بدأ الرجل كلامه: «سيد كندل، هذه الشابة، الآنسة واكر، وصلت لتنضم إليك على الغداء، كما اعتقد...؟».

وفكرت: ماذا لو هزّ كندل رأسه نفياً وأنكر علمه بقدومها؟ هل ستطرد من المكان وتجرّ من شعرها كما في الرسوم المتحركة؟ هل سينهض هؤلاء الناس الكتومين والنافذين بغضب لأن حرمة ملاذهم انتهكت؟

أجاب الرجل بصوت عميق وآمر: «هذا صحيح».

وأجبرت نفسها على تفحص الرجل القابع على الكرسي. كان يتفحصها بدوره ولم يبذل أي جهد لإخفاء هذا الواقع. كانت عيناه خضراوين، غير شفافتين أبداً ولكنهما في الوقت ذاته حذقتان بحيث يصعب سبر غورهما.. لم يكن ينظر إليها بفضول بل بدقة حسابية. راودها شعور غريب بأنه يدخلها في ذاكرته ولم يكن ذلك مريحاً؟

ـ هل أحضر لك شراباً؟

أومأت ليغ بشرود وقالت في محاولة لتصفية حنجرتها: «مياه معدنية. أرجوك غازية».

كانت نبرة صوتها الغريبة تفضح كثيابها، ارتباكها من هذه الأجواء.

واستمر كندل في النظر إليها فيما كان يتحدث: «أحضر المعتاد يا جورج».

رغم شعورها بالإحراج الشديد، لم تستطع إزاحة نظرها عن وجهه. لقد رأت صورة أو صورتين له عندما كانت تتقصى أخباره، صور جرائد غير واضحة لم تهيئها لتأثير جاذبيته المباشر. لديه وجه لا ينسى وقد استطاعت تبين استدارة وجهه الحادة. لم يكن وجهه ناعماً أو مثيراً للشبهة... إنه وجه رجل يملك الكثير من القوة. سيكون رائعاً محاولة رسمه ولكنها ستكون مهمة صعبة فإلى جانب تقاسيمه الجسدية

النموذجية، هناك قدرة كبيرة وثقة بالنفس تنبع منه ممّا جعلها مشلولة في مكانها.. كان شعره قاتماً، يطغى عليه السواد هكذا بدت أيضاً رموشه التي تناقضت مع خضرة عينيه الغامضتين.

سألها دون ابتسام: «هل تنوين الجلوس آنسة واكر؟ أم أنك تنوين التحديق فيّ إلى الأبد؟».

أعادت كلماته وعيها إليها فجلست بسرعة محرجة، مرتبكة. استطاعت أن تشعر بنبضات قلبها تحت قفصها الصدري وبالجفاف في لسانها الذي انعقد فحاولت جاهدة التفوّه بأي شيء ولكنها اصطدمت بقلة تشجيعه.

لا شك أنه وافق على لقائها، لقاء سيكون ما بين الاجتماعات. فهذا الرجل كثير الانشغال على ما يبدو.. ولكنه لم يكن يسهل عليها المهمة لذا همّت بالكلام: «آسفة لإقحام نفسي بهذا الشكل».

ضحكت بعصبية وعبثت بقاعدة كأسها الفارغة.

لم يبتسم أو تتفرج أساريره بل اكتفى بعقد ذراعيه منتظراً إياها أن تتابع. أدركت ليغ أخيراً ما يشعر به شخص يحاول الدفاع عن قضية لدى المحقق.

ـ لا بد أن الفضول يساورك لمعرفة سبب اتصالي بك...؟

وتركت سؤالها معلقاً في الهواء بينهما.

ـ قليلاً... أجل.

وأحضروا شرابيهما فابتلعت ليغ المياه المعدنية ملء فمها.. عليها أن تتماسك أعصابها. ليتها طلبت وضع ثلج فيه.. لكانت ابتلعته جرعة واحدة فربما تسهل بذلك مهمتها، إن لم يكن لشيء آخر.

لم يحضروا قائمة طعام، فجورج الذي بدا لها الآن أكثر إنسانية أعلمهما بوجود خيارات من روستو العجل وروستو لحم الحمل والسلمون المسلوق.

طلبا الشيء نفسه، السلمون، وعندما تركهما جورج، نظرت في وجه

نيكولاس القاسي والجامد فانتابها شعور سيء للغاية.

أردف أخيراً: «إذاً، هل تودين إطلاعي عن سبب اتصالك بي؟ إني مهتم ولكن ليس إلى درجة إضاعة الوقت في محاولة مقيتة لانتزاع الكلام منك شيئاً فشيئاً».

وابتلع جرعة من شرابه وراقبها بعدم اكتراث.

وفكرت ليغ: ماذا رأت شقيقتها في هذا الرجل. لا شك أن لديه أسلوباً مميزاً ولكنه شخص خالٍ من الدفء والفرح أو ربما يكون مرحاً قادراً على الضحك في الظروف المؤاتية له. ردت ليغ بصراحة: «لست واثقة من أين أبدأ».

ليتها لم تتدبر أمر لقائه! ليتها لم تجد نفسها في هذا الوضع الذي كانت عليه، وكأنها ممزقة بين العدو والبحر الأزرق العميق! الأمر الذي يُنبئها بكارثة مهما كان خيارها.

بطريقة ما، كادت تتمنى لو أن شقيقتها لم تبح لها بهذا الاعتراف الرهيب.

أخبرها بوقاحة: «حاولي من البداية».

ـ حسناً في تلك الحالة، علي أن اعود بك إلى ثماني سنوات خلت.

واخفضت عينيها كما لو أن عدم رؤيته قد يخفف من وطأة ما ستقول. استطاعت أن تشعر باهتمامه مركزاً عليها، كشيء ملموس ومحرّم.

ـ في ماجوركا، قبل حوالي ثماني سنوات، في فندق كبير يشرف على الشاطىء.

حينها، كانت الأعمال مزدهرة.. استطاعت تذكّر ذلك بوضوح. كانت جيني متوترة ومحبطة يومذاك.

في ذلك الوقت، استفسرت ليغ منها لكنها لم تُلح عليها، فلم تكن إلا مراهقة حينذاك ولم تكن متاعب شقيقتها قادرة على التأثير في شبابها.

إلى جانب ذلك، افترضت بسذاجة بأن لا شيء قد يستعصي فعلاً على جيني، جيني التي لازمتها دائماً والتي اهتمّت بها. إنها السند الذي لم

يتزعزع قط منذ وفاة والديهما اللذين تركاهما دون وجود أحد يلجآن إليه.

تمتم نيوكولاس: «ماجوركا».

لاحظت أنه يعود بالذاكرة إلى الوراء، فهز كتفيه دون استسلام: «ربما كنت هناك. وما الفرق؟ إذا كنت تحاولين القول أو إقناعي بأنني التقيتك هناك، ففكري في شيء آخر.. لم أرك قط في حياتي وأنا لا انسى ابداً الوجوه».

لا، هو لا يبدو لها رجلاً ينسى وجهاً ما التقاه. ومن ينسى أي شيء عن علاقة حميمة بهذا الشكل؟

وأحضر الطعام الذي كان استراحة من الجهود التي تبذلها لإخباره قصتها المقتضبة. تعلقت ليغ بهذه المقاطعة القصرية وقد شعرت بوهن.

كان لنيكولاس كندال تأثير بالغ فيها، لم تدرك كنهه تماماً. افترضت أن ذلك عائد إلى عدم تعرفها يوماً على شخص مثله.. إنه شخص مختلف كل الاختلاف عن زوج شقيقتها بحيث يكاد المرء يسأل إن كان من الجنس نفسه.

روي كان رجلاً بسيطاً ومرحاً، يستمتع بالأكل ويسرف بالملذات. لطالما كانت تتساءل في الواقع عما رأت شقيقتها فيه. ربما كانت الناحية الجسدية فلطالما كانت جيني مهتمة بمظهرها أساساً بخلافها هي.

لقد كانت شقراء، شعرها طويل متماوج بعكس شعرها القصير الأملس. وكان جسدها ممتلئاً بخلاف بنية ليغ النحيلة والصبيانية التي اكتشفت ليغ منذ زمن طويل أنها لا تجذب اهتمام الجنس الآخر.

والآن، رغم ذلك، شعرت بصدمة لمواجهتها الرجل الذي أمضت معه أختها ليلة مصيرية واحدة.

ـ ما زلت انتظر سماع ما تودين قوله، آنسة واكر.

نظرت ليغ إليه وقالت تدريجياً بصوت منخفض: «أنت محق تماماً سيد كندال. لم تلتقِ من قبل ولكنك التقيت بشقيقتي».

وتوقفت في صلب مهمتها لإقناعه بصحة إدعائها. قد يتذكر شخص

عادي هذا اللقاء العابر مع جيني إلا أن هذا الرجل لم يكن اعتيادياً كلياً فهل سيتذكر وجهاً التقاه ذات ليلة منذ ثماني سنوات؟

واستقرت عيناه عليها بحدة الآن، وكأنه يحاول حل هذا اللغز.

قالت ليغ بصوت منخفض: «جينفر ستيوارت. إنها لا تشبهني في شيء فهي شقراء واجتماعية. مكثت في ماجوركا مدة اسبوع للعمل والسياحة. كانت مرتبطة بعقد لتصميم جزء من الفندق».

لقد اطلعت ليغ في المستشفى بصوتها الذي كاد يُسمع: «كان علي مغادرة انكلترا بعيداً عن روي. أحسست بالغرابة ولكن كان علي أن أفكر.. كنت غاضبة كثيبة».

تذكر نيكولاس أختها.. رأت ليغ ذلك في عينيه. لم تكن تعلم ما إذا كان الوصف هو ما جعله يذكرها أم أنه تذكرها لأنها كانت ذاهبة في مهمة.. لكنه تذكّرها فقد توتر قليلاً فعيناه اللتان كانتا تدعوانها للكلام، تنظران الآن نحوها ببرود، كما لو أن الشك يساورهما عن الدافع الذي حملها إلى هذا اللقاء.

فكرت في أنه كان يترقب أن يصوّب نبراته عليها. فقال وهو ينظر: «كانت تثير الانتباه».

ونظرت ملياً في وجهه: «أجل، لقد كانت... بخلافي أنا».

لم ينكر ذلك فقال: «أذكرها إذ كانت تبدو مندفعة في ذلك الوقت. لقد كانت مفعمة بالحياة. كيف حالها؟».

كان سؤالاً مهذباً فلم تعنِ جينفر له شيئاً.. لقد مرت ذكراها بسرعة في مخيلته. من المضحك أنَ تنهض الآن ذكرى عابرة من الفراغ لتغير مجرى حياته.

قالت بجفاف: «لقد توفيت في حادث سيارة منذ ستة عشر شهراً».

كانت تعبث بالطعام الذي أرغمت نفسها على أكل نصفه ثم راحت تتلاعب ببقايا الطعام في صحنها كما تفعل آيمي بالخضار.

نظر إلى ساعته وقال: «أتعاطف معك ولكنني لم أفهم بعد ما علاقتي أنا بكل ذلك رغم كل شيء».

قالت ليغ ببطء وهي تضع سكينها وشوكتها وتنظر بخجل إلى طبق الطعام الذي لم تكمل سوى نصفه. كان لذيذاً ولكنها فقدت شهيتها.

ـ سيد كندل، هل أنت متزوّج؟

لم تذكر الصحف والمجلات أي زوجة ولكن من يعلم كيف يعيش هؤلاء الناس حياتهم.

وضاقت عيناه الخضراوين وهما تحدّقان إليها باستفسار.

ـ ولم تسألين؟

ـ وهل أنت كذلك؟

ـ لا.

تنفست ليغ الصعداء.. حسناً، لقد تخلصت من عناء هذا الموضوع الذي راود تفكيرها كثيراً. يعلم الله أن هناك ما يكفي من العوائق بحيث لا داعي ليكون هناك عائق آخر.

ـ قولي لي فقط ما تودين يا آنسة واكر.. إذ بدأت أسأم من لعبة الكلمات معك. لا أملك أدنى فكرة عن وجودكِ هنا وبصراحة، لقد بدأت أندم على موافقتي على مقابلتك. قلت في الرسالة بأنه لديك شيئاً ما تقولينه. حسناً، أخبريني.

ونظر مجدداً في ساعته وأردف: «لا أملك النهار بكامله».

ـ لقد أمضيت ليلة واحدة مع شقيقتي، سيد كندل.

انحنى إلى الامام وقد بان التهديد على وجهه فتراجعت بحدة إلى الوراء.

ـ أجل، فعلت يا آنسة واكر.. كنا راشدين. إذا كنت تحاولين ابتزازي بطريقة ما فأنت أخطأت العنوان.

ـ ليس لدي نية لابتزازك سيد كندال.

وحدّقت فيه مشمئزة. . . في أي عالم يعيش هذا الرجل؟ قالت: «لقد اتيت لأطلعك على أمر غير متوقع. جئت اقول لك بأنك والد. لديك فتاة في السابعة من عمرها واسمها آيمي».

***

٢ ـ الصبيّة والعملاق

ـ ماذا؟

وامتقع وجه نيكولاس كندل وتصلب جسمه فقالت ليغ: «أعلم أنها بمثابة صدمة لك. . .».

ولكنه قاطعها، منحنياً إلى الأمام باسطاً ذراعيه على الطاولة.

ـ ماذا تلعبين بحق الله؟ كيف تأتين إلى هنا وتجرؤين على قص هذه الرواية المزعجة التي لم أسمع مثيلاً لها في حياتي ثم تكلمينني عن الصدمة؟ ليست لدي أدنى فكرة عما يدور في رأسك. . ولكن اعلمي أنك لن تستطيعي إلزام عابر سبيل بتعويض على قصة ملفقة مجهولة المصدر.

لم تذكر ليغ في حياتها كلها أنها شعرت بهذا الرعب الشديد. . كانت تعابيره تنطق بالصدمة وعدم التصديق ولكنه استعاد الآن لونه وصمته المفزع الذي يذكرّها بالهدوء الذي يسبق العاصفة.

انحنت إلى الأمام وبدت كلماتها مسرعة: «ليست قصة ملفقة. . سيد كندل. لِمَ أضيّع وقتي في ابتكار شيء كهذا؟ ألا تعتقد أن لدي أموراً أهم لأقوم بها في حياتي؟ أنا لا أتلاعب بشيء. صدقني إذا قلت لك إن آخر مكان أود أن أكون فيه الآن هو هذا المكان واللحظة التي أخبرتك فيها بذاك النبأ».

التوى فمه بسخرية: «غير أنك شعرت بالواجب. .».

أجفلت ليغ ولكنه واصل حديثه: «هل جننت؟ أتعتقدين انني سأقع

www.elromancia.com

في أقدم حيلة في العالم؟».

وتراجع إلى الوراء ولكن وضعه لم يكن مريحاً. ورغم ابتعاده عنها، ظلت تشعر بالخوف نفسه الذي انتابها عندما مال بجسمه عليها في محاولة لتهديدها. نظرت إليه بذهول: «حيلة؟!..».

- لا تتصنعي البراءة. لست واثقاً ما هي الخطة التي وضعتماها أنت وأختك ولكنك مجنونة لتعتقدي أنني غبي إلى درجة تصديق كلمة مما تقولين. لا بد أنك اعتقدت أنك نلت مرادك عندما قلت لك إنني تذكرت اختك. ولكن ما لا أفهمه هو سبب إرسالك أنت نيابة عنها.. هل ظننت أن وجهك الطفولي الذي يوحي بأنك متخرجة حديثاً من المدرسة قد يبدو أكثر إقناعاً؟

- أخبرتك سيد كندال أن شقيقتي قتلت في حادث سيارة منذ سنة ونصف تقريباً وهذه ليست حيلة. هل تظنني أريد البقاء هنا؟ أي نوع من الأشخاص تظنني؟

- افترض أنك على شاكلة أختك، آنسة واكر.

- ماذا تعني بذلك تحديداً؟

أجابها بصوت ناعم، حفيض ومتوعد: «لم لا تحاولين فهم ذلك وحدك؟».

- لا يجدي أي شيء ممّا تقوله. جئت هنا..

- بعدما تآمرت مع شقيقتك.

- لم أفعل شيئاً كهذا.

أخذت حواسها كلها تحثها على الرحيل، والنهوض والمغادرة. ولكن رغم غضبها وإحساسها بالإهانة، علمت أنه لا يمكنها الانصياع لغرائزها، فهي عالقة تماماً.

نظرت إليه باشمئزاز: «انزع هذه الفكرة من رأسك. هذا الرأس الأناني.. والمتكبر.. لست هنا لتنفيذ خطة رسمها أحدما...».

واشتد ضيق عينيه فقال: «إنه عبارة عن اتصال مجاملة لإعلامي بأنني

أب».

كانت شبه واثقة من أنه سينهض لإبلاغها أنه اكتفى من هدر وقته. أدركت أنه لو فعل ذلك، لذهب عناؤها هباءً.

أحست بالتعاسة واليأس يملأن أعماقها.. فكوّرت يديها وكأنها تستعد لتوجيه لكمات.

- يبقى أمامنا احتمال آخر. ألا توافقين يا آنسة واكر؟

نظرت إليه وأحست من جديد أنها تحت رحمة شخص ساحق وكرّرت لنفسها بأن هذا هو آخر مكان قد ترغب في البقاء فيه وهي تفضل بحاراً تعج فيها أسماك القرش عليه.

أردفت بعناد وتعاسة: «لا أحاول الإيقاع بك، سيد كندل».

تلاقت عيناها المغرورقتان بالدموع، والمشبعتان بغضب ملتهب بعينيه فقال: «أمقت الاستغباء، آنسة واكر. أكرهه حتى عندما يحاول الناس تمويهه بالغش».

عندها همست ليغ: «كانت مجرد غلطة. لا أدري ما اعتراني للقدوم إلى هنا».

ونهضت واعية لساقيها الواهنتين.

- اجلسي!

همت بالمشي قائلة: «اذهب إلى الجحيم!».

كان جسدها حاراً ومرتعشاً وشعرت بالحاجة إلى تنشق هواء عذب يلفح بشرتها. سيغمى عليها في دقيقة أو هذا على الأقل ما شعرت به.

لم تنتبه إلى أنه وراءها حتى أحست بأصابعه على ذراعها تخففان من سرعتها.

- انزع يديك عني!

زمجرت وهي تصرّ أسنانها: «أو سأصرخ بملء صوتي فيهرع كل هؤلاء الناس القابعون هنا لتهدئتي».

لمع شيء ما في عينيه ورفع يديه قائلاً: «لم أنته منك بعد، آنسة

www.elromancia.com

واكر. قد ترتد خطتك الصغيرة عليك وربما يستحسن بك التخطيط للتراجع الآن ولكن يمكنك نسيان ذلك. لقد بدأت هذا وستنهينه جيداً وأحذرك بأن الابتزاز هو جريمة أيضاً».

حدقت فيه بعينين متسعتين بالرعب: «لا تهددني! جريمة؟».

عمَ يتكلم؟ لم ترتكب أي سوء ولكنها شعرت بأنها متهمة..

ضحك باقتضاب وحدة: «آه! يا عزيزتي. هل تخليت عن مرافعتك؟».

قالت بلا مبالاة: «أنت مجنون، وجنونك مطبق. يمكنك تصديق ما تريد عن دوافع وجودي هنا ولكن لانية لدي لسماعك ولا أنوي حتماً البقاء هنا فيما أنت تتمتع بالتلاعب بأعصابي».

وواجهت عينيه من دون أن يرف لها جفن.

لم يجب بل حدّق فيها بصمت فعلمت أنه كان يفكر في منحها فرصة لقول ما قدِمَتْ لأجله.

أضاف بعبوس: «ستتكلم في إحدى غرف الجلوس تلك. أنا مستعد لسماع ما تودين قوله ولكن إذا اتضح أنها مكيدة لاستدرار المال مني، فسأعمل شخصياً على أن تندمي على اليوم الذي...».

همست ليغ محاولة الشعور بالراحة والامتنان بدلاً من الغضب: «هل تحاول اتهامي بالاستغلالية؟».

كانا يسيران إلى الجزء الآخر من المبنى باتجاه غرفة جلوس أخرى ولكنها ليست واحدة من التي مرت بها عندما دخلت. كان رجل في السبعينات من عمره، يشغل الغرفة وقد غفا وهو يتصفح الجريدة المفتوحة في حضنه.

كانت جدران الغرفة مطلية باللون الأحمر القاتم وبألوان شتوية تعيد إلى البال صور المرافىء، وكانت الغرفة تحمل لمسة ذكورية طاغية..

جلسا على كرسيين بمنأى عن الرجل النائم، في مواجهة بعضهما بعضاً كالمحاربين، وهذه حالهما، كما فكرت ليغ بحزن.

ـ أنا رجل واسع الثراء، آنسة واكر، وقد يثير هذا الأمر كره البعض.

لم تنبس ليغ بكلمة. كانت تعلم أنها قدمت إلى هنا للمساعدة. صحيح أنها لم تأت بمحض إرادتها ولكن المنافذ سُدّت في وجهها ولم تجد حلاً آخر. والحقيقة أنها تريد دعماً مالياً منه، وهذا ما يُشعرها بالخجل والمهانة. أقرت مكرهة وقد ضمت أصابعها معاً في حضنها: «أعتقد ذلك».

ـ أتظنين ذلك؟

ـ أجل، حسناً، ليست لدي خبرة فعلية في... لم أدخل في مناهات...

لم تكن لديها فكرة حقيقية عما عناه عندما قال بأنه واسع الثراء ولكنها بدأت تكوّن فكرة. لقد استقتها من ثقة هذا الرجل بنفسه ومن كلماته التي كان يطرحها بأسلوب من اعتاد إعطاء الأوامر متوقعاً تلبيتها ومن نمط ملابسه.

لقد كان الثراء بادياً عليه بوضوح وكأنه يحمل لافتة على جبينه أيضاً. إنه هدف سائغ للاستغلاليين وقد يتضاعف هذا الاحتمال نظراً لوسامته. لا يتمتع العديد من الرجال بهذا المزيج. إن مجرّد تفكيرها بأن شخصاً ما يصادق أحداً قياساً لحجم حسابه المصرفي يثير فيها الاشمئزاز وهي في كل الأحوال، تستبعد الفكرة من بالها.

أعطى نيكولاس أوامره لرجل يكبر جورج سناً ولكنه يشبهه بشكل لافت ويعامل نيكولاس بالوقار نفسه، فذهب لإحضار فنجانين من القهوة. وفور رحيله انحنى نيكولاس إلى الأمام وقال بفظاظة:

ـ إذاً، تقولين لي إنني ذهبت إلى ماجوركا منذ ثماني سنوات وقضيت ليلة واحدة مع أختك فنتج عن ذلك أنني أصبحت أباً لابنة في السابعة من عمرها.

أومأت ليغ موافقة فأردف: «وإذا كان ذلك صحيحاً، وهذا ما لا أقرّ به ولو لدقيقة، فلماذا حملت لي الآن هذه المعلومة؟ لِمَ لم تخبرني أختك

www.elromancia.com

بحملها؟ كانت تعلم اسمي وكان بإمكانها تعقبي دون جهد كبير فأنا معروف في الأوساط الاقتصادية».

أجابت ليغ بتوتر: «إنها قصة طويلة».

فتراجع إلى الوراء عاقداً ساقيه، ناظراً إليها بعينيه الخضراوين العميقتين: «كلّي آذان، فأنا في شوق لسماع السبب الذي جعلك تقررين أن حقوقي الأبوية قد تساوي شيئاً».

صحيح أنه يجلس هنا، وأنه أخبرها عن استعداده لسماعها ولكنها خمنت من خلال النظرة التي ظهرت على وجهه بأنه اقل استعداداً لتصديق ما قد يسمعه.

بدأت ليغ كلامها ببطء فيما رفع نيكولاس حاجبيه: «كانت أختي تحب رجلاً آخر أثناء لقائها بك».

ـ أحقاً! حسناً.

وأشارت ليغ: «كانت تشعر باليأس لأن حبيبها لم يكن يريد الزواج».

هز كتفيه بلا مبالاة: «لا أفكر كثيراً في حالة المرأة عندما تكون في طور الارتماء في أحضاني».

ـ آه، فهمت فأنت تأخذ فقط ما يعرض عليك.

ـ قبل أن تبدئي بالاستفسار عن أخلاقياتي، أنصحك بالتعمق قليلاً في سلوك أختك، آنسة واكر.

ردت ببرود: «كانت جيني يائسة.. فماذا عنك أنت؟».

فاسود وجهه قائلاً: «لا أفترض أنك أتيت هنا لمناقشة أخلاقياتي، آنسة والكر. ولكن إذا كان ذلك يهمك، حاولت الاتصال بها في الصباح التالي غير أنها كانت قد غادرت المكان ودفعت الحساب».

ـ وأي صدمة كانت لك!

ـ لا أحد يتكلّم معي بهذه الطريقة!

ـ استطيع أن أتكلّم معك بالطريقة التي أريد.

كانت تعلم أنها لا تستطيع ذلك إلا أن الحكمة كانت تضمحل بعيداً

لتحلّ محلها رغبة مجنونة في الإفصاح عن أفكارها مهما كانت النتائج. رفضت أن تخضع لأمواله ولنفوذه.

ـ لا أعبث مع أية امرأة ألتقي بها..

هزت ليغ باستسلام، متخلية عن رغبتها في إعطائه عظة عن أمثاله من الرجال. فما الفائدة؟

أكملت: «حسناً، لا يهم، فمبادؤك هي شأنك وليست هي سبب مجيئي».

نظر إليها كمن يود أن يهزها ليحملها على موافقته ولكنها تجاهلت تلك النظرة على وجهه.

ـ كانت جيني في ذلك الوقت...

وفركت جبينها مفتشة عن طريقة مناسبة لقول ما تبغي: «واقعة في غرام روي ولكنه كان يرفض الزواج بها مع أنه كان هو أيضاً غارقاً في حبها..».

ـ ربما يمكنك قول الحقائق مباشرة.

نظرت إليه: «سأفعل إذا ما أعطيتني شبه فرصة».

وتوقفت عندما خيّم ظل جورج على طاولتهما ووضع صينية عليها قهوة مرة، فناجين، قرفة، سكر وحليب. وهمست ليغ منحنية إلى الامام وهي تمزج القهوة والحليب في فنجانها: «كان قد أعلمها بأنه لن يتزوجها لأنه يخاف من الزواج. وهذا الخبر السيء جعلها يائسة».

تركته يصب قهوته فإذا كان يجد صعوبة في معاملتها بتمدن، فلن تكون واثقة من قدرتها على مبادلته ذلك.. لقد تحوّل هذا الاجتماع إلى كارثة.

صبّ قهوته السوداء ثم تراجع إلى ظهركرسيه ناظراً إليها ببرود: «طريقة غريبة في التفاعل مع الأنباء السيئة. ألا تعتقدين؟ مغادرة البلاد والقيام برحلة إلى فندق غريب..».

ـ أنت لا تفهم.

www.elromancia.com

ـ لماذا لم تحاول أن تحلّ مشكلتها بطريقة أخرى؟ أنت لم تفكري في هذه القصة منطقياً، أليس كذلك، آنسة واكر؟ أم أنك اعتقدت بأنني سأصدق كل ما تقولينه، من دون طرح الأسئلة؟

تلوّن خداها فابتلعت ليغ رغبتها التي تجددت في الاندفاع بعيداً عن النادي.

قالت باعتدال: «اسمع سيد كندل، أعي أنك تظن نفسك أكثر العازبين شهرة في العالم، ويبدو أنك تظن بأنه لا يمكن لامرأة أن تقترب منك من دون أن تكون نواياها مشكوك فيها وهذا يتفق مع الواقع المؤسف الذي تعيشه. ولكنني أؤكد لك أنني لم أخطط وأتآمر عليك.. وما جئت لمقابلتك إلا لأنني وجدت نفسي بلا خيار آخر».

ضمّ أصابعه معاً وارتسمت شبه ابتسامة على وجهه القاتم الساحر ولكنها لم تصل إلى عينيه اللتين حافظتا مع ذلك على برودهما وحذاقتهما: «العازب الأكثر شهرة. آه، لا أعتقد ذلك».

وتعلّقت عيناه بها لثوانٍ حسبتها ليغ دهراً.. لكنها مع ذلك أردفت بتهذيب: «لا، لا أعتقد ذلك أيضاً.. والآن هلاّ سمحت لي باتمام حديثي؟».

ـ أكملي.

ـ يجب أن تعلم أن كل ما أخبرك به الآن... كنت أجهله كلياً. لقد اكتشفت ذلك منذ...

كانت تكره الحديث عن جيني وعن الحادث.

في الوقت الراهن، عليها أن تتسلح بالشجاعة لمصلحة آيمي غير أن الحقيقة الرهيبة تأخذ بمجامع القلب بعيداً. وفي هذه اللحظات تشعر بأنها لو استعادت ذكرى وفاة شقيقتها، لوجدت نفسها في طور البكاء. وهي لا تظن أبداً أن الرجل الجالس قبالتها سيتعاطف مع نوبة انفعالها.

ـ هي وروي.. روي هو الرجل الذي أحبته والذي تزوجته فيما بعد.

ـ الذي كان متورطاً أيضاً في الحادث المذكور.

ـ هذا صحيح وليس من حادث مذكور.

ـ إذاً ماذا حدث؟

ـ وهل يهم؟

ـ هل كانت قريبتك الوحيدة؟

نظرت إليه ليغ بحرمان. لِمَ لا يسمح لها فقط بإنهاء جملتها؟ لِمَ ينتزع منها تلك المعلومات؟ لم تكن تهوى الكلام عن ذلك ونادراً ما كانت تفعل ذلك.. لقد بكت في الجنازة ولكنها رغبت بالاحتفاظ بأفكارها لنفسها. لقد قسّتها الظروف وأجبرتها على الاعتماد على نفسها. أجابت بوقاحة: «نعم».

ـ وماذا عن سائر الأقارب: أعمام، أخوال؟ لم تذكري والديك لذا أفترض أنهم انتفوا من الوجود.

أخبرته ليغ بجفاف: «لا علاقة لهذا بموضوعنا. لو علمت أنك ستطرح كل هذه الأسئلة، لتسلحت بشجرة عائلة».

نظر إليها نيكولاس بحذر: «لِمَ قلت لي بأن اللجوء إليّ كان الحل الأخير؟ أفترض بأنه لو كان هناك أقارب آخرون...».

ـ لكنت هرعت إليهم طلباً للمساعدة.

وفكرت ليغ أن من السخافة الافتراض بأنه قد يظهر نوعاً من الاهتمام الشخصي بها.

قالت بصوت عال بدا لها كئيباً ومستوحداً: «ليس هناك أحد يا سيد كندال.. فجيني هي كل ما لدي».

تذكرت كيف كان الوضع عند وفاة والديهما هي وجيني.

تذكرت شعورها بالضياع وجرحها المفتوح ولكنها كانت صغيرة جداً وكانت جيني حاضرة لتمسك بيدها ولتساعدها على تخطي الأزمة. أما الآن فليس لديها أحد.

ـ لقد مات أهلنا عندما كنت في الثانية عشرة من العمر.. أما بالنسبة للأقرباء، فأظن بأن هناك عماً في مكان ما في اوستراليا ولدى والدي عدة

www.elromancia.com

أقرباء في كندا إلا أننا لم نبقَ على اتصال. هل حصلت على خلفية متكاملة أم انك تود معرفة المزيد؟ ربما أستطيع تزويدك بفئة دمي وبقياساتي؟

تضايقت منه لأنه انتزع منها تلك المعلومات التي حرصت على إبقائها لنفسها منذ نشأتها. أضافت: «باختصار، ليس من أحد ألجأ إليه ولكن على أية حال..».

وتوقفت مترددة مما ستقوله لاحقاً.

ـ على أية حال؟

ـ أعتقد بأنه من المهم لآيمي أن تعلم تدريجياً هوية والدها حتى ولو كان ذلك تطفلاً على حياتك الخاصة.

أعلنت ليغ ذلك بنبرة تحد فقال نيكولاس: «فلنفترض إذاً بأنني سأعفيك من شكي لدقيقة وبأنني مصدّق ما تقولينه. ألا تجدين أنه من الغرابة أن تقرري مقابلتي بعد سنة ونصف تقريباً من الحادثة؟».

ـ آيمي لا تتعدى السابعة.

ـ وأنت إلى متى كنت تنتظرين؟

ونظرت نحوه بكره عميق. هل كان مؤمناً بما تقول؟ هل كان يسخر منها ببساطة؟ هل سمح لها بالكلام حتى ينهي قهوته لينظر بعدها إليها ببرود من أعلى إلى أسفل ويخبرها أن تغرب عن وجهه. الواقع أنها لا تستطيع القول إنها اقنعته فمهما يقول، يبق وجهه غامضاً.

وأخذت جرعة كبيرة من قهوتها التي باتت الآن باردة ومقرفة وهي تقول: «حتى تغدو أكبر... حتى تصبح أكثر قدرة على... الفهم».

ـ هذا لطف منك.

ما ستكون ردة فعله لو ألقت عليه قهوتها الباردة؟ تساءلت ليغ بدورها، هل سيمحو ذلك هذه الثقة بالنفس وهذه السخرية عن وجهه؟

ـ لِمَ قلت بأنك مستعد لسماع ما لدي، سيد كندل؟ فأنت لا ترغب في سماع كلمة ممّا سأقول. تريد أن تحفر حفرة لتغرقني بها ومن ثم تبتعد وأنت تمسح يديك.

ـ ماذا أخبرتك شقيقتك؟

قالت ليغ تدريجياً: «كنت محقاً فلقد كانت متهوّرة عندما التقيتها في ماجوركا. لم تكن هي نفسها ولقد أدركت ذلك الآن. لا اذكر أنها كانت يائسة ولكنها لم تسرّ إلي بشيء فهي لطالما لعبت دور حاميتي لذا شعرت بأن من واجبها ايضاً حمايتي حتى من تعاستها الشخصية وقد تبين أن...».

تنهدت ومرّرت بأصابعها في شعرها القصير فبعثرت خصلاته المرتبة.

ـ كانت هي وروي على خلاف.. وكانت يائسة.

التوى فمه بقساوة قائلاً: «هل تحاولين القول بأنها ذهبت في إجازة بقصد معاشرة أحدهم قصداً؟».

ونظرت إليه ليغ يائسة من تحت جفونها: «ألا تسمع ما أقوله؟ كانت يائسة وتعسة عندما ذهبت لقضاء عطلة الاسبوع. كانت في حاجة للابتعاد عن روي وللتفكير. بسبب تعاستها، قامت للمرة الأولى بأمر خارج عن طبيعتها. أمضت ليلة مع غريب وشاء حظها أن تحمل وتقرر إبقاء آيمي. قالت بأنها وروي ناقشا الموضوع وقد اجتاز مرحلة صعبة لفترة ولكنه كان يحبها وقد تقبل الظروف في النهاية. لقد احب آيمي كما لو أنها من صلبه».

سحبت نفساً طويلاً: «انظر. آسفة على إقحامك في كل ذلك. لا بد أنه كابوس ولكنه أيضاً حقيقة واقعة».

نظر إليها ببرود وقد بدا الانفعال على وجهه: «لِمَ تعتقدين أنني سأصدق كلمة مما تقولينه لي؟».

ـ لأنه يصدف أنها الحقيقة.

ـ والآن، هل تودين إخباري لماذا انتابتك هذه الرغبة المفاجئة بإطلاعي؟

فكرت ليغ في أنه جنون مؤقت.. وأخذت تحدق إلى فنجان قهوتها.. إنها لحظة جنون. فقالت له بغرابة: «بصراحة، أنت آخر شخص

كنت اود أن اطلعه على هذه الدوامة ولكن الظروف قد تغيرت سيد كندل».

ـ بعبارة أخرى، أنت مفلسة. كنت أتساءل متى سنصل إلى الشق المالي بغض النظر عن الأخلاقيات القاضية بإعلامي عن وجود ابنة مجهولة.

أومأ لأحدهم باتجاه الباب فدخل جورج الغرفة لإزالة الفناجين. لقد بدأ الرجل النائم على الأريكة بالتحرّك. أحسّت ليغ بنيكولاس يسحب نفسه بعيداً عنها معلناً ختام الوقت المسموح لها فغمرها فجأة إحساس مرعب باليأس، فالقضية بالنسبة له هو ابتزاز لماله. فقالت له حانقة: «لديك ابنة، سيد كندال أحببت ذلك ام لا. يمكنك اقناع نفسك بأنني لست سوى باحثة رخيصة عن الذهب ويمكنك الرحيل من هنا من دون النظر إلى الوراء ولكن ذلك لن يغيّر واقع أبوتك لآيمي.. أتمنى أن ينغص ما أخبرتك به حياتك..».

تباً له إذا كان يعتقد أنه سيغادر بكل بساطة وينسى كل كلمة تفوّهت بها! كانت الأمور تنهار من حولها. لقد ابتلعت الطعم فيما يتعلق بهذا الرجل وستحرص على إعلامه بذلك.

انتهرها نيكولاس قائلاً: «لا تغيظيني، آنسة واكر».

ـ سأفعل ما يحلو لي.

انحنت إلى الأمام واستمدت نوعاً من الشجاعة الطارئة فقالت: «لقد خلف روي وجيني وراءهما ديوناً مثقلة وقد أمضيت الأشهر الماضية، حائرة في كيفية تسديد الديون. التزمت بوظيفة ذات راتب متواضع وقد كافحت لتلبية حاجات ابنة اختي وأشعر بأنني حملت نفسي أكثر من طاقتي. لقد اتيت إليك، اجل، طلباً للمساعدة، لأنه لم يكن لدي مكان آخر ألجأ إليه. لقد حجز المصرف على المنزل وأنا لا أبالي بمصيري ولكن يجب مراعاة آيمي فهي طفلة، إنها ابنتك!».

كانت ترتجف وقد توتر كل عصب في جسمها حتى كاد ينقطع.. لم تعد تبالي بعد الآن بالانطباع الذي ستخلفه. إذا كان عليها أن تزحف على

قدميها، فستفعل طالما سيؤدي بها إلى ضمان مستقبل لآيمي. خطر لها أن هناك أحداً ما في الغرفة قد سمعها فنظرت حولها بحذر.

وأطلعها نيكولاس بصوت لا ينم عن العداوة التي توقعت أن يتكلم بها: «لا حاجة لذلك فجمال هذا المكان يكمن في أن الناس هنا لا يولون أدنى اهتمام لأحاديث الآخرين.. يمكنك الاطمئنان أن كل الأسرار تبقى داخل تلك الجدران».

توقف قليلاً ثم تابع: «لا تعتقدي أنني أبالي بما يفكر الناس فيّ».

نظر إليها بفضول وكأنه يقوّمها: «ستفهمين بأنني أود اجراء فحص دم لإثبات أبوتي».

ـ إذاً أنت موافق على أن ما أقوله قد يكون حقيقة وبأنني لست طامعة بالذهب الذي يتسرّب من عتبة منزلك.

هزّ برأسه: «كل الامور واردة».

ابتسمت للمرة الأولى ابتسامة غامضة مسلية: «يمكنك إجراء مليون فحص دم لأن النتيجة ستدعم ما أقول».

وعبس وكأنه انسحب فجأة إلى مكان محرّم عليه.

سألها مقطب الجبين: «ولكن...؟».

ـ ولكن لا شيء.

غير أنها فكرت في أنه لن يضطر إلى ذلك، فشبهه الجسدي بآيمي كان مخيفاً وأردفت: «هلا قابلتها سيد كندال؟ وإذا قررت أن تغسل يديك من المسألة برمتها بعد ذلك، فلن أعارض».

سمعت التوسل في صوتها المصحوب بالذل. صحيح أنها ستضطر إلى اطلاع آيمي على حقيقة أبيها في الوقت المناسب وأنها ستدعمها في أي خيار تتخذه إلا أن فكرة توسلها للرجل جعلتها تتألم.

قال متثاقلاً: «سأقابل... الطفلة».

ـ متى؟...

ـ في أقرب فرصة ممكنة، على ما أعتقد.

ونهض فتبعته ليغ التي لاحظت جيداً طوله الفارع وبنيته القوية وهذا ما جعلها تشعر بضآلتها رغم أن طولها لا يعتبر عادياً. قالت وهي تتبعه إلى خارج المبنى حيث لفحها الصقيع: «أتمنى عليك الا..».

ـ أطلع الطفلة بعلاقتي بها؟

وافقت ليغ وشدت سترتها بإحكام.

كانت الرياح تعصف بتنورتهاوتلفها حول ساقيها كما تلتف عرائش الدوالي. كانت ستشعر براحة أكبر لو كانت مرتدية بنطلونها الجينز. قال لها نيكولاس وهو ينظر إليها: «أظن بأنه علينا أن ننتظر لنرى تطور الامور».

وأدركت أنه لم يستنتج شيئاً بعد. فاحتمال تغيير مجرى حياته الذي تترتب عليه هذه الأنباء لم يتقرّر بعد.

سألت ليغ باقتضاب: «متى تريد أن أعرّفها إليك؟».

ـ ماذا عن عطلة الأسبوع؟ الأحد. سألقاك في مكان ما لتناول الغداء. أين يذهب الاطفال في سنّها للغداء؟

بدا الامر وكأن الاطفال هم جنس غريب عنه.. فأسرعت تخبره قبل أن يغير رأيه: «أي سلسلة مطاعم تقدم وجبات سريعة».

عبس كما لو أنه يحاول إيجاد اسم مطعم يقدم وجبات سريعة، فقال: «قد يكون الحديث شاقاً في أحد تلك الامكنة. أعرف مطعم همبرغر في محيط جادة الحديقة. أعتقد أنهم يقدمون كل وجبات الأطفال المعتادة كالبوظة والميلك شايك.. إنها تأكل... أمور مماثلة، اليس كذلك؟».

ابتسمت ليغ: «بل تعبدها».

ـ ومن سأقدّم نفسي أمامها؟ صديق قديم للعائلة؟».

والتوى فمه: «قريب بعيد؟».

ـ سأخبرها أنك صديق.

الحمد لله لأنها في السابعة فقط.. فلو كانت أكبر سناً، لما صدقت أن نيكولاس كندل قريب لها ولعلمت ذلك من تعابير وجهه.

واصل تحديقه بها مضيفاً: «حسناً ولا تنسي ما قلته».

همس بنبرة محذرة وهو ينحني قليلاً فغطت أنفاسه الدافئة وجهها: «لست غبياً، فكتفي لا تؤكل سواء أكانت هناك طفلة أم تكن».

ـ أنا لا أحلم بذلك سيد كندال.

ـ نيكولاس.

ـ عفواً.

ـ نيكولاس. يمكنك مناداتي باسمي الأول فسيد كندال نداء رسمي قليلاً على أقرباء.

ونظر إلى ساعته ثم ذكر بسرعة اسم وعنوان المطعم الذي يعرفه.. بعد ذلك راقبته ليغ يرحّل بخطوات سهلة وكبيرة وقد راودتها مشاعر مختلطة.

لقد أنجزت الخطوة الأولى بنجاح ولكن المشكلة الوحيدة تكمن في أنها لا تملك أدنى فكرة عما ستكون عليه الخطوة الثانية. ارتدّت على عقبيها وخلال عودتها إلى المنزل، بدأت بتصوّر ما ستكون عليه الخيارات لأنه سواء أدرك الحقيقة ام لا، فسيجد صعوبة في تقبل آيمي ابنة له.

كان المال طبعاً الهدف ولكنها تستطيع أن تسدّد له ما أمكنها شهراً تلو الشهر وكأنها تسدّد قرضاً إلى المصرف. إنها لا تحتاج إلى الكثير للاعتناء بآيمي. سيكون عليهما إيجاد سقف يأويهما، بيت صغير دافىء.

ولا يهم إذا كان ذلك المكان في حي راقٍ أم غير راق طالما أنهما يعيشان باستقرار. عندها، قد يتسنى لها الفرصة المناسبة للتفتيش عن عمل يدر عليهما مالاً فتحل عندئذ متاعبهما المادية.

مساندته لهما، إذا ما رغب بالمساعدة، قد تكون بانتشالها من الغرق دون شك وولكن الحياة المستقرة هي ما تحتاج إليه آيمي بشدة.

عندما وصلت إلى البيت، عندها فقط راودتها فجأة فكرة مزعجة. ماذا لو قرر المطالبة بحضانة الطفلة؟ إنه غني ونافذ، وهذا يعني أنه يملك أسلحة كثيرة لمحاربتها بها. ماذا لو فكر في آخرته وقرّر المطالبة بابنته التي

حرم منها سبع سنوات.

خلعت ليغ عنها سترتها وحضّرت لنفسها الشاي وكان جسمها يتحرك آلياً فيما كان عقلها يصارع هذا الاحتمال المفاجىء.

ولكنها أقنعت نفسها بالعكس.. نيكولاس كندال لم يكن متزوجاً وليس لديه خبرة مع الأطفال ومما رأته، قد يكون آخر رجل على سطح الأرض، يرغب في إنشاء علاقة مع الصغار.

لم تكن لديها فكرة واسعة عما يفعله لكسب رزقه. ولكن مهما كان، فعمله بلا شك يتطلب وقته كله فنادراً ما يجني الناس أموالاً طائلة من الأعمال المنتصفة الدوام. لا، ربما كان واحداً من هؤلاء الرجال الغريبين الذين يَحَبون لأجل أعمالهم. ربما استأجر جناحاً للعزوبية في مكان ما. بيت رفيع يحوي غرفتي منامة مع خدمة تنظيف يومية. ومن تلك الأمكنة يطرد الأولاد والحيوانات.

وأجبرت نفسها على تناسي مخاوفها، فلا داعي للتفكير في ما هو آت فالحاضر هو الأهم. لا يمكنني أن أسمح لنفسي باستباق الأمور. علي التفكير بآيمي.

***

٣ ـ الربح أم الخسارة

ـ لا أريد أن أرتدي ثوباً.

ونظرت آيمي إلى الثوب الأبيض والأزرق الممدد بعناية على السرير.

اكتفت ليغ بالمرافعة: «ولكنه ثوب جميل».

ـ أود أن أرتدي بنطلوني الجينز وكنزتي.

ـ ولكن هذا ما ترتدينه عندما تلازمين جوار المنزل.

فقالت آيمي بمنطق مبالغ فيه بحسب ليغ: «ولكننا سنخرج فقط لتناول البرغر ولا أحد يتأنق لتناول البرغر».

في الماضي، كانت آيمي ترتدي طوعاً أي قطعة تحضرها ليغ لها ولكنها مؤخراً باتت تظهر ميولها بقوة، وهذا ما استحسنته ليغ حتى الآن لأنه يدل على عقلية قوية ومستقلة. أما اليوم فهي تود أن تبدو آيمي مناسبة، وجميلة كما كانت منذ الصغر.

أضافت آيمي بعناد: «بأية حال، لقد كبرت جداً على هذا الثوب».

وأحست ليغ بالهزيمة فلوّحت بالثوب يائسة: «إنه ثوب جميل... حسناً سأعقد معك اتفاقاً. يمكنك ارتداء الجينز ولكن ليس مع تلك الكنزة بل مع الكنزة البرتقالية».

بدت آيمي وكأنها على وشك الإلقاء بها غير أنها استسلمت ثم استفسرت إن كان بإمكانها ارتداء الحذاء ذو الأشرطة فردت ليغ: «ولم لا؟».

www.elromancia.com

هل يجب على كل الأمهات أن يجتزن هذه المرحلة؟ تساءلت ليغ بدورها فمسؤولية الأهل قد ألقيت على عاتقها وهي تتمنى الآن لو أنها أولت عناية أكثر لطريقة تعامل جيني مع ابنتها. فهي لا تذكر شيئاً عن طريقة أختها في تربية ابنتها. ولكن هل كانت لتستسلم في ظروف كهذه؟ بقيت مكانها، جاثية على الأرض فيما كانت قريبتها ترتدي جينزها وكنزتها البرتقالية ووجدت ليغ أن آيمي تبدو فاتنة رغم كل شيء.

لم تبدُ فتاة ريفية بل فتاة ظريفة، ظريفة ومرحة. كما أن نيكولاس كندل لن يجد شبيهاً لها فهل يا تراه يعرف أحداً طوله أربع أقدام وهو في سن العاشرة.

ـ هل أعتمر قبعة؟

سألتها آيمي وهي تخرج من رف زاوية خزانتها المظلمة قبعة من الفرو الأسود المزيف. هزت ليغ رأسها وأومأت معلنة استسلامها الكامل.

ـ تبدين جميلة.

قالت وهي تحاول النهوض قبل أن توشك مجدداً على الوقوع بسبب الخدر في ساقيها: «شكراً».

وابتسمت آيمي محاولة أن تبدو لطيفة ولكنها بدت بمثابة تقطيبة وعلّقت بدورها: «لا بد أن صديقك شخص مميز فها أنت ترتدين تنورة مجدداً».

ـ إنه ليس صديقي.

قالت ليغ هذا بسرعة وهي ترمق المرآة فقررت أنها تبدو جميلة وهذا أفضل ما يمكن أن تتمناه وهي مرتدية تنورتها الخضراء والبنية وكنزتها البنية الواسعة. حاولت إضافة بضع سنوات عبر التزين بعقد من اللؤلؤ وهي حليتها الوحيدة ولكنها ظلت تبدو مراهقة..

أضافت ليغ وهي تتلاعب بالحقيبة بدلاً من أن تخترع كذبة ما: «كان صديقاً لوالدتك».

لم تقل آيمي شيئاً فلقد بدأت تتجاوب إيجابياً لدى ذكر أمها جيني

فطوال الأشهر الماضية، كانت عيناها تغرورقان بالدموع كلما ذكر اسم أمها.. ولكن الأطفال يتكيفون بسرعة وهذا ما قيل لليغ حينها. إنهم يتحملون الألم أكثر من الراشدين في نواح كثيرة لأنهم لا يحاولون أبداً إخفاء حزنهم أو التظاهر بالشجاعة.

وقالت آيمي وهي تتبع ليغ خارج الغرفة محاولةً تبادل أطراف الحديث معها: «لم تذكره أمامي قط».

قد تكون ناضجة في بعض ردودها بصورة غير متوقعة وقد عزت ليغ ذلك إلى كونها طفلة وحيدة.

وأجابت ليغ من دون أن تلتفت إليها: «ربما فعلت وقد نسيت أنت. لا يهم ذلك على كل حال، إنما هو لطف منه أن يدعونا للخروج».

لطف، هه؟ يا ليت! لا يمكن لنيكولاس كندل أن يبدو لطيفاً حتى لو أمضى عشر سنوات وهو يتخصص به في الجامعة.

ذهبا إلى جادة الحديقة عبر المترو وقد وصلا إلى المطعم قبل الموعد. كان مزدحماً بالناس يصدح بالموسيقى.. كان النادلون والنادلات يحملون صواني كبيرة بيد واحدة خبيرة. وبدا الناس يروحون ويجيئون غير مبالين بكون الأحد يوماً للراحة.

طلبت ليغ مشروبات غازية لكليهما وبدأت باحتساء جرعات صغيرة منها، لأنها لا تريد أن يفرغ كأسها فإن وصل ورأى كأسها فارغة فسيظن أنها هرعت مع آيمي على جناح الشوق واليأس. استطاعت الشعور بالتوتر يزحف إليها ورغم ذلك قامت بمجهود جبار لتركز كل انتباهها على آيمي التي تركزت عيناها بانتباه على باب المطعم، تراقب وتنتظر، تراقب وتنتظر... لذا فوجئت عندما احتست جرعة من مشروبها، وانحنت لالتقاط محرمة آيمي عن الأرض واستقامت لتجده واقفاً هناك أمام طاولتها.

كانت آيمي تنظر إليه بفضول صارخ. وكان يبادلها التحديق.. بدا مشلولاً وقد خمنت ليغ ذلك من تعابير وجهه وكانت تفهم السبب.

www.elromancia.com

فوجودهما معاً على هذا الشكل وتشابه بنيتهما الجسدية كان صاعقاً أكثر مما كانت تتوقع.

لديهما الشعر القاتم نفسه ولون وشكل العينين نفسه وشكل الفم نفسه أيضاً وليس ذلك فحسب بل تعابيرهما بدت واحدة تقريباً.. كان ذلك غريباً.

قطعت ليغ الصمت بتحيتها فسحب نيكولاس عينيه بعيداً عن ابنته وجلس فأضافت متمنية لو تبدو كمن يحيي صديقاً قديماً للعائلة بدلاً من شخص يهدّد راحتها: «جميل أن نراك، نيكولاس. أود أن أعرّفك إلى ابنة اختي آيمي يا نيكولاس».

قال بصوت بدا مرتبكاً قليلاً: «يسعدني لقاؤك. لقد أحضرت لك هدية صغيرة».

بحث في جيب بنطلونه وأخرج علبة صغيرة مضيفاً: «آسف لسماع ما حل بـ... بوالديك».

لم تقبل آيمي عزاءه ولم تتحرك حتى لأخذ الهدية بل قالت: «ما هي؟».

بعد فترة نظرت إلى ليغ، طالبة منها الإذن بعينها وعندما أومأت ليغ، أخذت العلبة بحذر وكأنها تخشى أن تحترق من لمسة يد هذا الرجل الغريب. تفهمت ليغ مخاوفها.

نظر نيكولاس إلى ليغ بتعبير متماسك: «إنه فقط غرض صغير اشتريته».

لم تستطع ليغ سبر غور القناع الذي يختبىء تحته فهل كان غاضباً ام متفاجئاً؟ هل صُدِم للبرهان القاطع الذي يجلس على كرسي قبالته والذي يفض هديته بحذر؟

فتحت آيمي غطاء العلبة وأخرجت منها سواراً ذهبياً جميلاً وقلبته بين يديها مراراً مستفسرة: «هل لي الاحتفاظ به؟».

ـ أعتقد ذلك.

ـ طبعاً، تستطيعين ذلك فهو هدية.

أجابا معاً في الوقت نفسه وأرسلت ليغ إليه نظرة تهديد محذرة من وراء رموشها. ربما يكون والد آيمي ولكنه وضع دقيق يجب معالجته بروية وبخطوات مدروسة..

لذا فإن إقحام نفسه وفرض حقوق ما لن يُنجحا المسألة.. وهي عازمة على توضيح ذلك من البداية. لِمَ أتى حاملاً هدايا، بأية حال؟ فكرت ليغ أن المفترض أن هذا اللقاء الأول ليس الغرض منه استثمار الانتباه والحصول على المودة.

كان الغداء عملية شاقة ومربكة. فعل نيكولاس ما بوسعه لمحادثة آيمي التي كانت تجيب باقتضاب رسمي، منزعجة من تدخلات رجل لم تقع عيناها عليه مسبقاً في حياتها. وبين الفينة والأخرى، كانت تفتح علبة السوار وتنظر إلى قطعة الذهب المكوّرة في القعر.

فكرت ليغ في أنها ليست أفضل منه في التخفيف من وطأة الوضع، فالأصدقاء القدامى يجب أن يتبادلوا بعض النكات. ولكن، لم يكن هناك منفذ سهل لها، لذا كان عليها أن تكافح لتبدو ودوداً ومرتاحة إلى أقصى الحدود.

كان الأمر بمثابة إقامة توازن في النهاية وما يصعّب المسألة أكثر أن آيمي حادة الذكاء وقوية الملاحظة. ومع ذلك، بعد انتهاء الغداء، أعلنت آيمي بلهجة يشوبها الذعر أنها تريد الذهاب إلى الحمام وقالت لليغ التي كانت تهتم بالوقوف على قدميها: «أستطيع أن أجده بنفسي».

ـ هل أنت متأكدة؟

ـ إنه في الأسفل. كنت آتي إلى هنا منذ زمن طويل مع أمي وأبي.

وأعقب صمت ثقيل هذه الملاحظة إلا إن آيمي لم تنتبه لحسن الحظ لذلك. ابتسمت ليغ وتجاهلت الملاحظة غير أنها لم تنظر إلى نيكولاس. لقد أمضت الساعة والنصف الماضية تحاول قراءة تعبير وجهه ولكنها فشلت. أدركت فقط، نتيجة حدسها المهني بأنه لم يتأثر لا بها ولا بالوضع

www.elromancia.com

القائم ولم يعطها حتماً أي انطباع سوى أنه مهتم بابنته.

ـ إذاً.

قالت ليغ في محاولة لإحكام سيطرتها على مجريات الأمور عن طريق المباشرة بالكلام: «ابنتك... لقد ذكرت شيئاً عن فحص الأبوة».

ـ تعرفين جيداً أنه لن يكون هناك من فحص أبوة فالطفلة...

وانهت ليغ الجملة عنه: «هي صورة طبق الأصل عنك».

قال وهو يصرّ أسنانه: «وهذا ما يمنحك إحساساً بالرضا؟ ما الذي أعطى لشقيقتك الحق بالقيام بما فعلته؟ أن تجد نفسها حاملاً وأن تتلاعب بمستقبل طفلة سواها؟».

وانحنى إلى الأمام بحركة عدائية ما جعل ليغ تتراجع إلى مسند مقعدها.. قالت متعبة وهي تحدّق فيه كما يحدق عالم بجنس حيواني يحتمل أن يكون خطيراً.

ـ لقد سبق أن ناقشنا هذا الموضوع.

وضرب قبضته بإحكام على الطاولة: «حسناً، سنناقشه مجدداً».

فاجأها العداء الكامن وراء كلماته. ليس هناك من داع للتظاهر بالتهذيب فآيمي غائبة غير أن سرعة تحوّله أزعجتها.. لقد استطاعت ليغ أن ترى الآن ما الذي كان يزعجها منذ البداية. إنه غضبه الكامن! فأجابت وهي تنحني إلى الأمام رافضة الانصياع لانفعاله المتوعد الذي برز فجأة: «لقد فعلت فقط ما اعتقدت أنه الأفضل حينها. فهي لم تتعمّد الحمل».

ـ ولكنها حملت..

ـ أجل، أعلم ولكن...

فقال باشمئزاز مرير: «ولكنك ملزمة بالدفاع عنها، اليس كذلك؟ الله وحده يعلم أنك كنت تفكرين في الاتجاه نفسه، فأنتما مصنوعتان من العجينة نفسها بالنتيجة. أليس كذلك؟».

شبكت يديها معاً وانتظرت وهي ترتجف بسبب تدفق الدم إلى رأسها وقالت: «هذا ليس عدلاً. كيف تجرؤ!».

ـ لقد وضعَتْ أختك طفلي ولم يكن لديها نية في إعلامي بأنني أب.

لم يكن هناك داع لإنكار الحقيقة ولم تتكلّف ليغ عناء المحاولة. إنها تفهم السبب الذي دفع بأختها إلى التصرف نوعاً ما على هذا النحو، من ناحية ثانية لقد استطاعت أن تتبين الظلم واحتمال أن يؤدي هذا الوضع إلى الكثير من التعقيدات على المدى الطويل. لقد كان الوضع أحد تلك الحالات المعقدة التي تحول دون الوصول إلى نتيجة بسبب تورط الجميع بها. ففي مكان، سيتأذى احدهم، لذا قالت ليغ وهي تبذل أقصى جهدها لتفهُّم ما كان يعانيه: «كانت آيمي ستبحث عنك عاجلاً أم آجلاً ومن غير المجدي مواصلة المجادلة في هذا...».

ـ ولديك الجرأة لتقويم أخلاقيتي بسبب ما حدث مع أختك!

رأت ليغ بطرف عينها آيمي تصعد السلالم فرسمت ابتسامة على وجهها حتى ولو أدى ذلك إلى ألم في فكّها.

فور جلوس آيمي على المائدة، سألت: «هل أستطيع الحصول على حلوى؟ لقد رأيت حلوى بالموز في الأسفل وهي تبدو شهية».

وارتشفت بعضاً من العصير بصوت مرتفع من خلال القشة وهي تنظر إلى خالتها من خلال رموشها القاتمة.. إنها نفس الرموش التي تغطي عيني والدها. كيف لم تنتبه آيمي لهذا الشبه الصاعق بينها وبين الرجل الجالس في جوارها؟ ولكن الأولاد، غالباً ما يفشلون في ملاحظة أكثر الأمور بروزاً.

ألقت ليغ الفوطة على الطاولة معلنة الختام ونظرت حولها باحثة عن النادل: «يجب أن نرحل الآن آيمي فأنت لم تنجزي بعد فروضك».

ـ إنه مجرد حساب.

وسألها نيكوس وهو يحاول إخفاء غضبه المتصاعد بصعوبة: «تحبين الحساب. أليس كذلك؟».

رمقته آيمي بنظرة من تلك النظرات المتفهمة والبعيدة عن الفوقية التي يمنحها الأولاد للراشدين الذين يبذلون قصارى جهدهم للتحدث معهم.

www.elromancia.com

هزت رأسها قليلاً ثم أردفت: «أنا جيدة. كان أمي وأبي يقولان لي إنني أفضل منهما في الحساب».

قال نيكولاس مواصلاً الحديث: «كنت بارعاً أيضاً في العلوم فهو يعود بالفائدة لاحقاً».

لم يبدُ على آيمي أنها تتبع ما يرمي إليه فسألته وهي ترتعش وترتشف أخر نقطة من شرابها: «أتعني خلال البحث عن العمل؟».

ـ هذا صحيح مع أنني لا أعتقد أنك فكرت ملياً في ما تريدين أن تعملي عندما تكبرين.

قالت بعد برهة: «أريد أن أغدو باليرينا أي راقصة باليه».

قال نيكولاس عاجزاً عن إيجاد الكلمات: «هذا يبدو.. مثيراً».

ـ ألا تعرف إحدى الباليرينات؟

ـ لا أستطيع القول إنني أعرف واحدة.. ولكن يمكننا ربما الذهاب لعرض باليه ذات يوم.

ولمعت عينا آيمي للحظة كشجرة عيد: «أيمكننا؟».

فقالت ليغ... وهي تشعر بأنها تنخبط في الوحل.

ـ كسّارة البندق تعرض دائماً في موسم الميلاد تقريباً.

استعجلتها ليغ بحدة فتلاقت عيناها بعيني نيكولاس الحازمتين وقال: «هل لديك مانع إذا ما اصطحبت آيمي للخروج إلى مكان ما؟».

ـ آه لا، أبداً. يسرني ذلك. كل ما في الأمر أن الميلاد هو فترة يكثر فيها الازدحام.

ـ ولكن خالتي ليغ...

ونظرت ليغ حولها بيأس بحثاً عن نادل ثم أشارت إلى أول واحد رأته: «بأية حال، حان وقت رحيلنا».

قال نيكولاس لآيمي وهو يفتش في جيبه عن محفظته: «ربما، يمكنك التخلي عن خالتك لفترة قصيرة عندما نعود. هل لديك أصدقاء يمكنك قضاء ساعة أو ساعتين بصحبتهم؟ ثمة ما أود مناقشته مع خالتك».

قالت ليغ ببرود وهي تزيل القناع البشوش والمبتسم: «أنا قابعة هنا. رجاءً، دع آيمي خارج الموضوع».

بدأت آيمي تشعر بالارتباك نتيجة تغير مجرى الأحداث ونظرت إليهما كلاً على حدى ومن ثم تظاهرت باللعب بالعلبة التي تحوي السوار.

ـ نحتاج إلى إجراء محادثة قصيرة.

وحمل صوته معنى هادئاً، حازماً الأمر الذي أربك أعصاب معدتها. لم تكن معتادة، على التعامل مع أمثاله من الرجال. وتعلّقت عيناه بها فشعرت بالضياع الكامل. قالت له: «طبعاً، يمكننا تدبُّر ذلك».

ـ من الأفضل أن يكون عاجلاً وليس آجلاً.

ـ أجل ولكن من المستحيل إيجاد أحد لرعاية آيمي في وقت قصير.

وتطوّعت آيمي مغتبطة من نفسها لإيجاد حلّ للمشكلة: «أستطيع الذهاب للعَب مع صوفي».

أشارت ليغ: «قد تكون صوفي مشغولة بعد ظهر الأحد».

قال نيكولاس بنعومة: «ربما يمكننا المحاولة. هل هي جارة؟ سأقلكما معاً إلى هناك بسيارتي».

وأومأت ليغ وراقبته وهو يدفع الفاتورة ويقف.. لقد أمسك بزمام الأمور.. لقد اعتقدت عندما فكرت في الأمر بأن ذلك سيكون متوقعاً ولكنها أدركت أن امكانية حدوثه لم تخطر فعلاً في بالها.

إنها كما تبينت ساذجة إلى درجة لا تُصدَّق.. فهي سعت إلى المساعدة ولكنها لم تسر بما فعلته، لم تسرّ لأنها أطلعت نيكولاس على وجود ابنته.. فحياتها التي ظنّت أنها ستتابع كالمعتاد، قد تنقلب رأساً على عقب.. لقد بدت غبية أو ساذجة.

كانت سيارته متوقفة على الخطوط الصفراء المزدوجة خارج المطعم. ومن النظرة الثانية، علمت ليغ أن ذلك لا يهم بما أن السائق كان خلف المقود. ترجل ما إن رأى نيكولاس، وسارع يفتح باب السيارة لكي تستطيع التسلّل إلى المقعد الخلفي مع آيمي.

سأل نيكولاس الذي جلس في المقعد الأمامي: «أين تقيمين؟».

وانحنت ليغ إلى الأمام تخبره.. بعد ذلك أخذت السيارة تعبر جادة الحديقة كحيوان بدائي. لقد كانت سيارة رائعة، زرقاء قاتمة، لامعة ومطلية حديثاً.. استدار الناس لرؤيتها تجتاز الطريق. وأحست ليغ وهي جالسة في المقعد الخلفي بانزعاج كلي ولكن آيمي كانت مسرورة وأخرجت رأسها من النافذة بتعبير رزين ولكن بسرور. اجتازوا المسافة الفاصلة عن المنزل بتوقيت قياسي ووجدت ليغ نفسها مرغمة على توسل والدة صوفي لرعاية ايمي مدة ساعة فيما بقي نيكولاس خارجاً واتضح لها ما كان يفعله فور خروجها نظراً لغياب السائق عن الأنظار. قال نيكولاس بضيق: «إنه يعود أدراجه إلى الشقة ليتسنى لنا أخذ راحتنا».

كانت يداه متكورتين في جيبيه والهواء البارد القارس يبعثر شعره على وجهه.

ـ هل تدبّرتِ أمر ذهاب آيمي لزيارة صديقتها؟

ـ سأقلّها الآن. إنها على بعد عدة منازل على طول الطريق.

وترددت ليغ، غير واثقة تماماً مما سيحدث لاحقاً فقالت: «ربما من الأسهل أن تصعد لتناول فنجان قهوة».

أومأ نيكولاس باقتضاب وتبعها إلى داخل المنزل وعندما دخل أخذ يجيل بنظره كما لو أن ما يحيط به عبارة عن قطع مركّبة تحتاج إلى التفكيك. وظهرت آيمي حاملةً معها كتابين، فنظرت إلى نيكولاس وشكرته مجدداً على السوار ثم غادرت المنزل مع ليغ. وفيما كانت ليغ تستدير لإقفال الباب، استطاعت رؤية عيني نيكولاس المثبتتين على الوجه الصغير الذي أدار له ظهره وكأنه لا يشبع منها.. وبعدما اوصلت آيمي، تساءلت عما أقحمت نفسها به. هل راود جيني ردة الفعل هذه خلال تلك الليلة؟ من المحتمل لا. إلى أي مدى يمكنك معرفة شخص في غضون بضع ساعات؟

كان نيكولاس واقفاً تماماً حيث تركته، وعندئذ عرضت عليه القهوة

ثم توجهت إلى المطبخ ولكنها كانت واعية إلى لحاقه بها وإلى تأملها وهي تتناول الفناجين من الخزانة والحليب من الثلاجة.. قررت وهي في طريق العودة أن من الأفضل أن تأخذ الأمر برمته بأسلوب عملي، لا بأسلوب إنساني.

ناولته فنجانه وقالت دون مقدّمات: «حسناً، ماذا سيحدث الآن؟».

جلس نيكولاس إلى مائدة المطبخ المصنوعة من خشب الصنوبر وأشار إلى فجوات الأقلام التي لا تُحصى والتي حفرتها آيمي على سطح الطاولة خلال مراحل نموّها. راقبته ليغ باتزان فلم تشأ الغوص في أي من التبريرات المتعلق بالدافع الذي حث جيني على ارتكاب فعلتها.

ـ هذا هو المنزل الذي سيحجز. أليس كذلك؟

جالت ليغ بنظرها وقد استرجعت السنوات الماضية السعيدة ثم أجابت باختصار: «نعم».

ـ إنه ساحر. لا بد أنه كان مكاناً مبهجاً لتنمو فيه طفلة.

وافقت وهي تنظر إليه من خلال حافة الفنجان وقد بدا عليها أنها لا تستحسن تحديداً هذا التبدّل في الحوار. هل سيؤدي ذلك إلى مكان ما؟

قال نيكولاس: «هل حدّد لك المصرف مهلة محددة؟».

ـ ليس تماماً ولكنني أعلم بأن سيكون في القريب العاجل فمحاسب جيني يصفي مسألة الأعمال ثم سيليها البيت.

ـ وماذا خططت للقيام به؟

ـ الايجار، سيد كندل.

ـ نيكولاس.

ـ لقد خططت للمجيء إليك علك تقرضني بعض المال لكي أستطيع تدبر أمر سقف يأوينا، هذا إذا كنت راضياً عن... الوضع.

واجه عينيها من دون أن يرف له جفن: «يا لها من طريقة دقيقة لصياغتها! «راضٍ» هي آخر صفة قد تستعمل ولكن كما قلت فإن مناقشة المسألة ليست المحور الأساسي».

www.elromancia.com

نظرت إليه ثم غضت طرفها لأن أحساسها بأنّ التيار يحرقها كان فوق طاقتها على التحمُّل.

- ماذا تنوين أن تفعلي بالمال؟

عبست مرتبكة: «المال؟».

- المال الذي عقدت الأمل على تسلُّمه مني.

صححت له بحدة: «إنه افتراض ليس إلا.. والواقع أنني لا أنوي أبداً أن آخذ شيئاً لا أردّه فيما بعد.. كنت أخطط لاستئجار مكان لي ولآيمي للإقامة فيه كما اعتقد».

- قولي لي تحديداً، كيف تظنين أنني سأتأقلم مع هذه الصورة.

راقبتها عيناه الخضراوان الباردتان فقالت: «يمكنك طبعاً، الاستمرار بالاتصال بآيمي».

- هذا كرم منك. حددي لي ما تعنينه بقولك الاتصال بآيمي.

رفعت ليغ ذقنها بطريقة دفاعية: «إذا كنت تريد الحقيقة، لم أظن أنك ستطلب التقرّب منها.. أعلم أنه عبء عليك فليس لديك خبرة بالأطفال».

ابتلعت بعصبية جرعة كافية من القهوة: «أعلم أن كل ذلك يعيق طريقة حياتك».

- لا تعلمين بالضبط شيئاً عن طريقة عيشي لذا أسدي لي صنيعاً ولا تقفزي إلى استنتاجات سريعة.

انكمشت ليغ التي اختارت تجاهل السخرية في صوته. وفي مقابل ذلك، سألته بصوت متماسك: «هل لديك أي تجربة مع الأطفال، سيد كندل؟ نيكولاس؟».

- ليس كثيراً مع أنني لا أرى ما فائدة هذا السؤال؟

- جئت إليك لأنني كنت في حاجة ماسة للمال. لن أكلّف نفسي عناء إخفاء ذلك لأنك تعلم ذلك.. كنت سعيدة بالعيش يوماً بيوم ولكن اعلم أن كل شيء يتغير عندما يدخل طفل في حياتك.

أكملت ليغ: «تحتاج آيمي للرعاية. لا يمكنها أكل أي شيء وكيفما اتفق.. عليها أن تحصل على كساء. كان روي وجنيفر يعتقدان أنهما سيتخلصان من الضائقة المالية وعندما حللت محلهما حاولت ذلك لكنني لم أستطع شيئاً لحل هذه الضائقة».

واستراحت لتلتقط انفاسها. نظر إليها قائلاً: «إنها طفلة مرحة».

- نعم، إنها كذلك.

- من الغريب أن أشير إلى شخص من لحمي ودمي بمثل تلك الطريقة الرسمية والباردة.

وتضمن صوته حرماناً وغضباً. ولكن عندما نظر إليها، اضمحل عداؤه قليلاً مع أن الدفء كان غائباً، فعيناه ظلتا باردتين مراقبتين ولكنهما أقل حزماً مما كانتا عليه سابقاً.

- أعلم أن.. أن الوضع صعب بالنسبة لك ولهذا السبب لا أود التدخل في حياتك إلا بقدر ضئيل إذا أمكن. آسفة جداً على كل ذلك.

قال رافضاً: «لا داعي للندم.. والآن بعدما رأيت آيمي لم يتبق عندي شك في أنها ابنتي لذا ليس عندي نية أبداً في إخفاء ذلك عن العالم.. أما ضميري فسيكون مرتاحاً تجاهك لأنني سأعطيك مالاً لإرضائك».

- سيكون مجرّد قرض.

وفكرت ليغ في ما يقصد من وراء كلماته.. ففي كلماته شيء جعلها تشعر بعدم الراحة. لقد أنبأها حدسها بأنه أكثر مما فكرت هي فيه.

هزّ رأسه بنفاد صبر ثم تراجع إلى الوراء مريحاً يديه على الطاولة: «لا تكوني سخيفة فالمال هو حدث اعتباطي».

وقام بحركة لا مبالية بيد واحدة.

سألت ليغ التي تجمدت متخوفة مما بدأ يساور عقلها الباطن: «ما الذي ترمي إليه؟».

قال بصدق: «أنوي أن اثبت وجودها بصورة دائمة في حياتي».

ابيّض وجه ليغ من الرعب فقد تحققت أسوأ مخاوفها.

www.elromancia.com

ـ حسناً، أجل، ستكون حقيقة دائمة طبيعياً. أعني، أنني لا...

ـ أنت لا تفهمين ما أقول.

وتعلقت عيناه بها فأحست فجأة بالغثيان لأنها أدركت ما يرمي إليه.

ـ لا أريد لعب دور أب مع وقف التنفيذ أو دور الأب بدوام جزئي.

حارت ليغ في أمرها وانتابها إحساس غريب بالضياع بدا أنه امتد حتى أخمص قدميها مغلفاً كل عظمة وكل عضلة ومسام في جسدها. كان عليها أن تجلس على يديها لمنعهما من الارتجاف بقوة.

همست يائسة: «يمكننا التوصل إلى نوع من الاتفاق».

ماذا فعلت ولم ذهبت إليه؟ لم كان عليها أن تفترض بأن نيكولاس كندال كان سيقبل طوعاً إقراضها بعض المال، ثم يختفي من حياتهما كما ظهر؟ أو يختفي على الأقل ظاهرياً، في مكان ما بعيداً عنهما على سطح الأرض.

وأكمل بثبات: «أنت تعين بأنني نسيب آيمي الأقرب».

لم تستطع ليغ الإيماء. إذا اعتقد بأنه سيخرج آيمي، قريبتها الجميلة والمحبوبة بعيداً عن حياتها، فستنتظره مفاجأة كبرى.

ولكن كان صوت صغير يخبرها بأنه الأب، وبأن لدى هذا الأب أموالاً طائلة أما هي فلا تملك شيئاً والمال يحكم بكل أسف. أليس كذلك؟

أشارت ليغ بضعف وقد استعادت صوتها في النهاية: «إنها لا تعرفك أصلاً».

ـ إذا قصدت المحكمة، سأقدم دليلاً قوياً للحصول على رعايتها.

ـ ستتعاطف المحكمة معي! فآيمي لم ترك قط قبل الآن.

بدأت عيناها تلمعان وأخذت نفساً عميقاً لضبط مشاعرها. لا فائدة ترجى من الانهيار. وما نفع ذلك؟ سيكون آخر شخص على الأرض يتعاطف معها.

ـ ليست غلطتي كما سبق أن أشرت إلى ذلك.

ـ لا خلاف على هذه النقطة. سأحاربك في كل خطوة ولكن ذلك لن

يجدي آيمي نفعاً. أليس كذلك؟ وهي المهمة. أليس كذلك؟

أردف قائلاً: «إليك وجهة نظري. فلنواجه الواقع منا، ليغ. حضنت اختك ابنتي ومهما كانت دوافعها في حينها، أخفت عني هذه الحقيقة ثمانية أعوام، ولولا الظروف لما عرفت الحقيقة أبداً. أنت الآن الوصية على آيمي ولكنك اعترفت بأنك مفلسة. كم من المال في المصرف في الواقع؟».

قالت ليغ بصوت لا يكاد يكون مسموعاً وقد أحست بالكره الشديد لهذا الرجل: «لا أملك الكثير».

ـ بعبارات أخرى، أنت تحتاجين إلى مساعدة مادية، لن تأتيك من المصرف الذي يوشك أن يحجز على منزلك.

كل ما قاله نيكولاس بدا منطقياً إلى حد أنها تخيلت صورة حية لما سيحدث لو قرر نيكولاس كندل النزاع في سبيل ابنته عن طريق المحاكم.

ولكنه ختم وهو يستند إلى الوراء كما لو أنه يعيد النظر في الموضوع: «أنت محقة تماماً في التفكير طبعاً بأن آيمي لا تعرفني أصلاً كما قلت وبما أن مستقبلها وسعادتها هما ما يهمني...».

ـ أجل!

تنفست ليغ الصعداء لأنه عاد إلى صوابه، ولكن ذلك لا يعني أنها لم تعد غاضبة من قدرته على إيصالها إلى حالة توتر شديد.

أكمل نيكولاس: «ولهذا السبب، لدي اقتراح أعرضه عليك».

سألت ليغ بحذر: «وما نوع عرضك؟».

ـ لا داعي للقلق.

امتلأ قلبها بالهواجس في ثوانٍ فقال: «ما أنا على وشك عرضه، هو منطقي لدرجة مذهلة».

توقف بضع ثوان تساءلت خلالها لماذا لم تضربه بالمقلاة الموجودة على النار.

ـ آه، أجل...

- أعتقد أن عملك لا يروق لطموحاتك فأنت مجبرة على الالتزام به بسبب ظروفك القاهرة. . افترض بأنه كانت لديك مشاريع أخرى قبل أن يحدث هذا.

- صحيح، كنت أدرس فن التصميم وقد باشرت دراستي. . حسناً ما فائدة إخبارك بكل هذا؟ فالأحداث حوّلت مجرى حياتي.

- ولكنك تودين التخلي عن عملك لمتابعة الدراسة التي أجبرت عل قطعها.

- أفضل ألا أحلم.

دفع كرسيه إلى الوراء بخفة ليتمكن من عقد ساقيه وقال: «لقد أجبت عن السؤال لذا لا داعي لإطالة الموضوع. يمكن احياناً التعامل مع الأحلام ولكن يلزمنا المال، أليس كذلك؟».

- لم أكن انوي استخدام مالك لنفسي!

- كان همك الأساسي في كل الأحوال هو إيجاد سقف يأويك؟

- الهم الأساسي ولكنه ليس الوحيد.

- من وجهة نظري، لدي طفلة. والآن بعدما اجتزت الصدمة الأولية، لا أنوي التنصل من مسؤولياتي. أريدها أن تنتقل إلى المنزل معي.

- ماذا؟ هل جننت؟ هذا خارج عن البحث! لن أدعك تنتزع آيمي بعيداً عني!

أجابها بصوت حاد كالسوط: «أنت تبالغين في ردة الفعل. لم تسمعي بعد بقية ما علي قوله».

- أبالغ؟ تريد انتزاع ابنة أختي بعيداً عني وتقول بأنني أبالغ؟ ماذا تتوقع مني فعله؟ أبتسم وأقدم لك الشاي ونتناقش بمسألة توضيب الحقائب؟

- حباً بالله، اسكتي يا امرأة وأصغي إلي!

أصدرت ليغ صوتاً مخنوقاً غير مفهوم ثم جلست وضغطت راحتي يديها على فمها. كانت يداها ترتجفان.

- لن آخذ آيمي من أحد.

- إذاً لِمَ قلت؟

- أريد منك أن تنتقلي للعيش معها. بهذه الطريقة تُحل كل المشاكل. سيكون لك سقف يأويك أما هي فستصبح مستقرة مادية. . يمكنك متابعة تحصيلك الجامعي أو مهما كان ما تفعلينه قبل أن تنقلب حياتك رأساً على عقب ويمكنك أيضاً الاستقالة من الوظيفة.

- لا يمكنني الاعتماد عليك.

- لك الخيار.

وبدا لكلماته وقع مؤثر فيها، فأكمل: «لدي منزل من الطراز الفيكتوري في هامبستيد. الدور الأسفل فيه شاغر ولكن هناك مساحة شاغرة وتكفي لنعيش كلنا فيه ولا أنوي إعالتك لأنني أنوي توظيفك».

- أين؟

سألت ذلك هامسة وهي تغلق عينيها.

اقترح نيكولاس ببرود: «كمربية! وقبل أن تناقشي عرضي، أرى أن تعيدي النظر بالمعطيات بدقة بالغة. آيمي هي ابنتي وسأحارب من اجلها إذا ما اضطررت لذلك وأنا لم أخسر قط معركة».

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ امرأة من جنس الرجال

أدرك نيكولاس تماماً ما كان يفعل إذ يستحيل عليه أن يخسر فمهما تفاوتت الحسابات، لم يعد هناك مجال لترفض ليغ عرضه. وتبين لليغ أن ذلك لم يكن سوى البداية.

في تلك الفترة، قام بزيارتهما مرتين، محاولاً كسب ود آيمي عبر تقديم الهدايا التي تذهل أكثر الأطفال صلابة. مكث في المنزل وكان يجري معها محادثات قصيرة إلا أن اهتمامه كان محصوراً بابنتيه. كان مصمماً على كسب ودها مبرزاً سحره البدائي الذي يتعدى حواجز السنين وكان ناجحاً في ذلك.

أخبرته ليغ عندما أتى في المرة الثانية حاملاً هدية تتضمن مجموعة متكاملة من لعب الباربي ومجهزة بخزانة تحوي أكثر مما يمتلكه أغلب الراشدين من ثياب: «لا يمكنك المجيء إلى هنا مع هدية في كل مرة تعودنا».

ـ ولم لا؟

كانت آيمي قد انسحبت إلى سريرها في المساء متعبة وهي تمسك لعب الباربي الثلاث مع ثيابهن الغريبة المذهلة وبقيا وحدهما في غرفة الجلوس.

كانت ليغ تحمل بيدها مئزر المطبخ لأنها كانت قد أمضت الساعتين الأخيرتين من زيارته في العمل، لاعنة اليوم الذي اتصلت به فيه.

فقالت بصدق متجاهلة ومضة البرود في عينيه: «لأن ما تفعله هو

شراؤها».

ـ إنها نظريتك بأية حال.

ـ اتفق أنها مطابقة للواقع. أنت تعطيها منذ البداية ما ترغب فيه لتعتمد عليك فيما بعد في إعطائها كل ما تحتاجه. ولكن عندما يحين الوقت لتأنيبها أو لإعطائها درساً في الأخلاق فستعتبر تأنيبك للأسف شكلاً من أشكال الخيانة.

ـ ومن أين أتيت بتحليلك النفسي؟

أجابته ليغ ببرودة: «من التجربة. هل نسيت أنك حديث قليلاً على هذه اللعبة أكثر مني؟».

نظرت مباشرة في عينيه وأحست ولكن ليس للمرة الأولى بشعور بالإغماء والدوران. لقد سبق أن لاحظته في المرة الأولى التي تقابلا فيها ومع كل لقاء جديد، يبدو أن هذا الشعور المزعزع بدأ يتضح أكثر فأكثر. يجب عليها أن تعتاد عليه إذا كان عليها أن تعيش معه تحت السقف نفسه.

قال بعد صمت طويل: «لقد فهمت قصدك».

ـ ماذا؟!

ورد بصوت جاد مدروس: «لقد أخذت علماً والآن هلاّ ناقشنا أمر الدراسة؟».

قال نيكولاس هذا وكأن الموضوعين كانا مترابطين نوعاً ما.

ـ وماذا عن الدراسة؟

ـ سيصعب عليك إيصالها إلى المدرسة التي هي فيها عندما تنتقل بعيداً إلى هامبستيد.

ـ سأبدأ النظر عاجلاً في الوضع.

ـ قريباً لا يعني عاجلاً للغاية.

ـ ألا تعتقد أن لدى آيمي ما يكفي من التغييرات؟ هذا دون نقلها من مدرسة إلى أخرى.

ـ يقول احدهم أنه يستحسن القيام بتغيير جذري دفعة واحدة لئلا يتبقى

www.elromancia.com

المزيد من المفاجآت المزعجة.

وافقته ليغ الرأي وقد بدا في صوتها أنها ليست من عداد هذا البعض عندما قالت: «والبعض الآخر...».

ـ توجد مدرسة مستقلة ممتازة تبعد عن منزلي عشرين دقيقة بالسيارة.

ـ سأفكر في الموضوع.

همست ليغ هذا بصوت خفيض، وفتحت الباب الأمامي تحسُّباً لعدم تلقيه الرسالة ومفادها أن وقت رحيله قد حان.

اقترب منها حتى بات قريباً منها لدرجة أن أنفاسه كانت تلامس خديها ثم قال برقة وهو يخطو إلى الظلام: «لقد حلَلْت المسألة. ستبدأ آيمي الدراسة هناك بعد عطلة الميلاد مباشرة. جل ما عليك فعله هو تدبر أمر الثياب المدرسية».

ـ ماذا؟ لِمَ تفعل هذا؟ لِمَ تدير حياتنا؟ عندما أتيت إليك، لم أتوقع أن تقتنص الفرصة وتستولي على زمام الأمور!

أجاب برقة: «لا، فأنت لم تتوقعي ذلك حتماً، أليس كذلك؟ جل ما توقعته هو أن أعطيكِ أنا ما يكفي من المال للتعويض عن ذنبي ومن ثم مغادرة المكان ليعود كل شيء إلى مجراه. حسناً، سيدتي، لقد أسأت كلياً فهم الموضوع. نحن لا نتكلم عن هبات لأجل قضية عادلة ولا نتحدث عن أية طفلة بل نتكلم عن ابنتي أنا وأنا عازم كلياً على التدخل كما أنني سأقرر التوقيت المناسب لإخبارها بهويتي عندما تكون جاهزة تماماً لتقبُّل دوري في حياتها. هل تفهمينني أم أنني بحاجة إلى ترداد ما قلته؟».

وفكرت في سرها: هل هناك شك في أنني أكره الرجل؟

لقد سبق أن فتحت الباب وهي تجهل ما يخبئه ذلك والآن تأخر الوقت لإغلاقه فلقد أمسك نيكولاس كندال بزمام الأمور. لم تكن مكترثة كثيراً لأنه قدّم لها أفضل مخرج يمكنها تمنيه، ولم تعر اهمية إلى أنه يمتلك كل الحق بإدخال ابنته إلى حياته.

حثها المنطق والدافع إلى الاعتراف بأن ما يفعله هو لمصلحة آيمي إلا

أن دخوله عنوة إلى حياتهما كان يزعزع استقرارها ويثير اضطرابها فعندما يكون قريباً منها، يبدو أن جسدها كله ينتفض وهي لم تستحسن هذا الشعور.

***

نظرت ليغ إلى ساعة يدها بغضب متصاعد. يفترض بنيكولاس أن يقلها إلى منزله لكي تتمكن من تهدئة خواطرها بأن آيمي لن تعيش في وكر آثم رهيب. وماذا عني؟ فكرت ليغ ولم تكن هذه المرة الأولى التي تفكر فيها. ماذا عني؟ كرهت نفسها على أنانيتها ولكنها أحست وكأنها زُجّت في وضع لم تكن مدعوة إليه، وضع غير مرحب بها. أسوأ ما في الموضوع أنه ليس لديها خيار في المسألة لأن مصلحة قريبتها تأتي في المرتبة الأولى وهذا ما يجب أن يكون عليه.

لقد بدأت الجولة الثانية في اللعبة وكانت تذرع أرض غرفة الجلوس ذهاباً وإياباً عندما سمعت هدير سيارته خارجاً ثم تبعه صوت صفق باب السيارة ووقع أقدام على عتبة المدخل. لم تعطه الوقت لاستخدام الجرس بل طارت إلى باب المدخل وفتحته قائلة بايجاز: «لقد تأخرت».

لقد أخذ إجازة من العمل وكان يرتدي كنزة صوفية عاجية اللون وبنطلوناً زيتياً وسترة لم يكلّف نفسه عناء تزريرها كما أنه لم يحلق ذقنه.. نمت لحيته فبدا كقرصان فاسد، الأمر الذي بدا لها مطابقاً كل المطابقة لشخصيته. إنه من النوع الذي يهوى السلب والنهب.

قال وهو ينظر إلى ساعته: «ثماني دقائق».

لم تجب ليغ بل أدارت له ظهرها وارتدت معطفها الأسود الواقي من المياه الذي يبدو أرخص من معطفه والتقطت حقيبتها عن الطاولة في الردهة.

وما إن أصبحا في سيارته يجتازان الطرقات ببطء حتى بدا لها كل هذا غريباً. سألها نيكولاس: «هل أخبرت آيمي شيئاً بعد».

ـ لا.

وبدا ردها جافاً بحيث شعرت بأنها ملزمة أخلاقياً باعطائه تبريراً.

ـ إنها مأخوذة كلياً بدروس التمثيل في المدرسة. لم يبدُ ذلك الوقت المناسب.

كانت آيمي تريد من نيكولاس أن يحضر المسرحية، فنيكولاس يؤثر فيها ليس لأنه يسرف في الهدايا التي كان يغدقها عليها بل لأنه يملك تلك القدرة على التأثير في غالبية الجنس اللطيف مهما اختلفت أعمارهن. وختمت ليغ بينها وبين نفسها بأن آيمي ربما كانت تحاول من دون وعي التفتيش عن صورة أخرى لوالدها..

سألها: «ومتى يحين الوقت المناسب تماماً برأيك؟».

شعرت بغضبه تحت مظهره الهادىء.. لقد سمح لها بتولي الأمور رغم أن القرارات كانت تعود له إلا أن صبره لن يطول للأبد. إنه مستعد حالياً للانتظار لأن الظروف تملي عليه ذلك ولكنها تخضع للاختبار. لقد أوضح ذلك بطريقة ما.

ـ لم يكن هذا أسهل وضع في العالم، أنت تعلم.

ـ وأنت لا تسهلين المسائل، أليس كذلك؟

ورمقها بنظرة من طرف عينيه فزمت ليغ شفتيها دفاعاً عن النفس.

إنهما يحاولان الظهور بمظهر شخصين منسجمين عندما تكون آيمي حاضرة ولكنهما في غيابها، أشبه بعدوين، يدوران حول بعضهما بعضاً استعداداً للمواجهة.

قال وقد قسا صوته: «ربما علي أن آخذ آيمي جانباً.. وأصارحها بحقيقة أنها ستأتي للإقامة معي وبأنها ستنتقل إلى مدرسة أخرى».

نظرت إليه ليغ برعب قائلة: «لا! لزمني الكثير من الوقت لأخرجها من الصدمة التي تقوقعت فيها عند وفاة جيني وروي. أريد أن أزف لها الخبر بلطف وتدريجياً في الوقت الحاضر».

ـ جيد. إذاً اتوقع منك أن تباشري بذلك قبل أن ألقاك في المرة القادمة.

ـ وإذا لم أفعل؟ وإذا قررت أنه يستحسن لآيمي أن تعيش بعيداً عن حياتك؟

ـ لن تفعلي.

ـ والسبب؟

ـ لأنني أقول ذلك.

حدجته ليغ بنظرة صاعقة ولكن ماذا يمكنها قوله؟ كانت بداها مغلولتين وكلاهما يعلم ذلك.

سألها بعد برهة: «هل سلمت تقريرك بعد؟».

ـ ليس تماماً.

ـ وهل يعني ذلك لا؟

ـ سأقوم بذلك في بحر هذا الأسبوع.

هل هناك من جوانب في حياتها لم يتدخل فيها هذا الرجل؟ رغم أنها اقرت بأن تسليم تقريرها، سيسرّها كثيراً.

ـ كما يمكنك مواصلة دروسك في الفنون.

ـ لقد تذكرت.

نظر باتجاهها بسرعة: «ليس لدي فكرة عن سنك ولكنك تبدين وكأنك خارجة للتو من سن المراهقة. أتصوّر بأن حياتك قد انقلبت رأساً على عقب بسبب ما حدث.. إذا كنت تتحلين بالمنطق، فعليك أن تتوقفي عن مواجهتي وأن تبدئي برؤية هذا التدبير كفرصة لتعودي إلى ما كنت تحبين القيام به».

قالت له بفظاظة: «كنت أفضل القيام بذلك على طريقتي».

فذكرها برقة: «ولكنك لا تستطيعين ذلك. أنا استخدمك لتعتني بآيمي وأمنحك الحرية لمتابعة دروسك خلال النهار عندما تكون في المدرسة. وهذا بالتأكيد أفضل حل ممكن في العالم».

لم تفه ليغ بكلمة بل نظرت إليه بشك وهي تستسلم لإدارته حياتها واستفسرت: «لِمَ تعرض علي نقوداً مقابل شيء أفعله بإرادتي؟».

www.elromancia.com

هز كتفيه: «تريدين الحقيقة؟».

ـ نعم.

ـ لأنه ورغم كل ما تعتقدينه، لست شخصاً يستغل الناس. لا أنوي إهانة كبريائك. لقد تطلب منك الأمر الكثير من الشجاعة لتلجأي إلي.

ـ وماذا لو قررت صرفي من العمل؟

ـ لن يتأزم الوضع.

ـ آه، دعني أحزر.. لأنك تعتقد ذلك، ونحن البشر الفانين علينا أن نثق ببساطة بحكمتك العظيمة.

وضحك. كانت المرة الأولى التي تسمع التسلية الحقيقية في صوته وأرسل صوت ضحكاته موجات صغيرة في داخلها. للحظة سريعة، استطاعت تبيُّن سحره تحت مظهره، فبدا كضحكته المفاجئة مربكاً أيضاً.

لم تع أن السيارة قد خفّت سرعتها إلا عندما دخلت من بوابة جميلة تليق بمنزل ريفي أكثر منها بمنزل ڤيكتوري في قلب لندن.

عندما ذكر لها نيكولاس أنه يقطن في منزل مؤلف من ثلاث طوابق، تخيلت مبنى يعلوه سقف قرميدي ويتوسط مباني أخرى مشابهة. لقد كانت بعيدة كلياً عن الحقيقة. عبرت السيارة مصراعي البوابة وتوقفت أمام منزل جميل له حديقة، وهي ليست فقط شبه حديقة بل حديقة فعلية فيها أعشاب وأشجار فاكهة.

قال وهو ينظر إلى التعبير الكامن على وجهها: «علينا إلقاء نظرة سريعة من الداخل. سأريك أين ستكونان أنت وآيمي، والحقيقة أنني حجزت لك موعداً لرؤية المدرسة.. يمكننا تناول الغداء في مكان ما وعندئذٍ يمكنك أن تسأليني أي سؤال ترغبين في طرحه».

في الداخل، كان المنزل دافئاً مقارنة مع البرد خارجاً.. لم يكن قصراً ولكن فيه دفئاً وذوقاً رفيعاً.. دخلا من ردهة قصيرة مفروشة بالسجاد الأحمر القاتم ومزوّدة بمفروشات أثرية قليلة لئلا يبدو مزدحماً. في الدور العلوي، سمعت صوت جهاز تنظيف السجاد فتبع نيكولاس اتجاه عينيها،

وقال وهو يعبر أحد الأبواب: «إنها السيدة ما كبرايد وهي تأتي يومياً للقيام بالتنظيف».

لم تكن ليغ مصغية فعلاً لأنها كانت تتأمل المنزل بصمت.. كان الديكور مذهلاً أما الأثاث والسجادات المبسوطة هنا وهناك فكانت أكثر من رائعة.. وكانت الرسوم على الجدران تنطق بالأناقة التي يمكن للمال أن يشتريها. أراها المكان، ولكنه لم يتوقف إلا في الطابق الثالث حيث أراها الغرف التي ستسكنها هي وآيمي. كان هناك غرفتان للنوم وغرفة جلوس صغيرة وحمام يوازي حجمه الكبير حجم غرفة الجلوس.

قال نيكولاس: «إنه جناح مستقل.. يستعمله عادة الضيوف الذين يبيتون الليل. ولكن ذلك لا يحدث غالباً لأن معارفي بمعظمهم يقيمون في وسط لندن.. أما القصر الريفي».

ـ القصر الريفي؟

ـ ألم أذكره أمامك؟ لقد تركه لي والداي. إنه في مقاطعة «أوركشاير» وهو أوسع بكثير من هذا المنزل.

عاد إلى الأسفل واستدارت ليغ نحوه وقالت بسرعة محرجة: «انظر، أشعر بأنه علي قول ذلك. لست سعيدة بشأن... مشاطرتك المنزل».

حدّق إليها فتمنت لو لم تقل ذلك لأن ما قالته لم ينجح إلا في إفساد الأمر عليها أكثر.

ـ أعلم أنك رجل غني ونافذ وأعتقد أن لندن تعج بالملايين الذي يستعدون لفعل أي شيء لأجلك ولكنني لا أعلم فعلاً أي نوع من الأشخاص أنت.

استقرت يداه في جيبيه وقد أحنى رأسه بخفة كمن يحاول قراءة المعاني المستترة وراء الكلمات.

ـ لا يمكنك إخباري أي نوع من الأشخاص أنا؟ كيف يمكنك ذلك بحق الله؟ في مثل هذا الوضع، عليك ببساطة أن تثقي بي.

لم تنظر إليه إلا أن وجنتيها كانتا متوهجتين: «لقد قرأت أيضاً في

الجرائد أن لديك سمعة مريبة».

ـ آه، أجل؟

سحبت نفساً عميقاً وأجبرت نفسها على مواجهة عينيه.

والآن، بدأ يبتسم إمعاناً في اذلالها: «أؤكد لك أن نواياي شريفة».

بدا ساحراً بشكل مخيف عندما ابتسم. فكرت ليغ بذلك وهي ترتجف في أعماقها.

أضاف نيكولاس: «أعطيك كلمتي.. يمكنك الاسترخاء بأمان وأنت مستلقية في سريرك في الليل لأنني لن أحاول أبداً اقتحام بابك، فليس ذلك من عادتي».

في هذا الوقت، تمنت ليغ لو أن الأرض انشقت وبلعتها أو لو تنشق وتبلعه هو.

ـ أنا لا أشير...

إلام تشير؟ وشُلَّ تفكيرها.

ـ انظري، ولنقل بصراحة إنك طفلة.

ـ أنا لست كذلك.

ـ لا؟

ورفع حاجبيه باستمتاع: «ربما أسأت استخدام الكلمات المناسبة».

أجابت ليغ بحزم، مستجمعة الرصانة المتبقية لديها: «أعلم ما ترمي إليه».

استطاعت أن تشعر بالعرق النابض بعنف في عنقه وتراءى لها شعرها القصير وبنيتها الصبيانية، وبطنها الأملس.. إنها صورة مراهق لم يبلغ الحلم بعد. أما افتقارها للخبرة فهو بادٍ على محيّاها.

ـ لا، فأنت لا تعلمين أبداً ما أقوله.

لم تكن تريد سماع ذلك. قالت قبل أن يبدأ تصريحه المتعالي عن افتقارها إلى السمات الأنثوية: «لا داعي للغوص في المسألة. لدينا كلنا شخصيتنا وأنا في الواقع أشعر بالراحة لصراحتك هذه».

ـ وهل أنت كذلك؟

ـ بالتأكيد أنا كذلك.

تمنت وهي تمر أمامه أن يكون لديها شعر طويل قاتم مسترسل على كتفيها.

ـ جيد.

وابتسم وهمَّ بالتقدم ناحيتها. وعندما أصبح قربها، توقف وانحنى برشاقة هامساً: «ماذا عني؟ وكيف أعلم أنني في أمان؟».

قالت وهي تنظر مباشرة أمامها: «أنت آمن لأنك لست من الصنف الذي يعجبني».

ـ وما هو الصنف الذي تحبين؟

ـ أحب الرجال الحسّاسين المهتمين بمشاعر الآخرين كالفنانين مثلاً.

فكرّت في مايك، صديقها المتواري، وارتأت أن من المناسب نسيان غضبها عليه.

ـ آه! لقد اطمأن قلبي.. أما اليوم فهلا تابعنا ما خططنا له لبقية النهار؟

تحرّك بعيداً وبدأ بارتداء معطفه فاستدارت ببطء لتنظر إليه. وفكرت ليغ في أن كل تلك الجاذبية الرجولية ليست لها.

اكتشفت أنها تتنفس بسهولة أكبر الآن لأنه أصبح بينهما مسافة لا بأس بها. قالت: «لدي سؤال واحد بعد».

ـ وما هو؟

ـ ماذا عن الضيف؟

ـ وماذا عن الضيف؟

وحافظ صوته على نبرته ذاتها ولكن شعوراً قوياً وسريعاً انتابها بأن شيئاً ما فيه قد تصلّب لدى ذكر ضيفه. لِمَ يسكن لديه أحد؟ إنه سؤال وجيه.

ـ اين يقيم؟

ـ ليس هو بل هي.

elromancia.com

ـ حسناً، أين تقيم؟

ـ وهل لهذا علاقة؟

سألت ليغ: «من هي؟».

انتابها الفضول أكثر بسبب امتناعه عن الإجابة عن سؤالها.

وأخبرها نيكولاس بسرعة: «صديقة للعائلة وهي تقيم في الدور السفلي المرمّم».

وعبست ليغ متصوّرة عجوزاً لا حول لها ولا قوة، من طراز العمات اللطيفات. من المنطقي أن يهتم بقريبة عجوز لا تملك مكاناً آخر تعيش فيه.

اطمأنت لمعرفتها بأن سيدة أخرى تقطن معهما في المنزل. وسألت وقد تخطت إطار اللياقة أكثر من العادة: «إذاً، هل تتناول وجباتها معك؟».

وتخيلت المشهد بين نيكولاس وعمته.. تخيلتهما يتشاركان العشاء يومياً في الغالب. احست فجأة بوجود صديقة العائلة..

ـ لديها الحرية بالإقامة، الذهاب والمجيء كما يحلو لها. أما الآن فهلا أقفلنا الموضوع وذهبنا؟

ونظر إلى ساعة يده ثم حدق إليها فانتزعت نفسها من أحلامها وقالت: «طبعاً إلى أين الآن؟».

ـ إلى المدرسة. وبمناسبة الحديث عن ذلك، هل تستطيعين القيادة؟

أجابت ليغ: «لدي رخصتي ولكن ليس لدي سيارة. بعد الحادث، كنت أقود سيارة ولكننا اضطررنا إلى بيعها لتسديد بعض الديون».

سأل وهو يخرج بالسيارة إلى الطريق: «وكيف كنت توصلين آيمي إلى المدرسة؟».

نظرت إليه جانبياً ثم أضافت بسخرية: «مشياً. إنها تلك الأشياء المسمّاة بالأرجل والتي صُنعت لذلك في النهاية».

ـ حسناً. فالمدرسة التي ستنتقل إليها بعيدة جداً عن المنزل لتختاري

الذهاب إليها مشياً.

ـ لا بد أن هناك باصاً.

ـ ربما. لن نلجأ إليه بأية حال لأنني سأشتري لك سيارة صغيرة.

ـ لا تكن سخيفاً.

رماها بنظرة نصف عابسة: «لست كذلك، وآمل ألا تحول كبرياؤك دون تحليك بالمنطق».

ـ كبرياء؟ كبرياء؟ قبل دقيقة، كنت استغلالية وأسعى وراء ما يمكنني أن أضع يدي عليه والآن تمنعني كبريائي من قبول أي شيء منك! هلا اعتمدت على رأي واحد؟

ضحك بصوت متهدج منبهاً إياها: «أصبْت... ولكن السيارة ستسهل عليك حياتك».

ـ واثقة من أنها ستفعل ولكن...

ـ ليس من لكن، أنوي شراءها. إذا قررت عدم قيادتها، فلا بأس ولك أن تتركيها قابعة في المرآب ثم لك أن تكلفي نفسك عناء الذهاب إلى المدرسة بواسطة النقل الشعبي وقضاء ٤٠ دقيقة في الحافلة.

أفحمها جوابه. لقد اثبت بعد المدرسة متانة الحل الذي خرج به.. فهذه المدرسة هي كل ما قد ترغب فيه لابنة أختها. لم تستطع ايجاد أي ثغرة وتنبأت من الابتسامة الرضية التي علت وجهه وهما يغادران أنه أدرك ما تفكر فيه.. سألها على الغداء: «إذاً هل من أسئلة؟».

خلصت ليغ بالقول وهي تفرك جبينها علها تجد نقطة ما أغفلها: «يبدو أنك احسنت تدبر الأمر».

ـ ويبقى الآن السؤال المتعلق بمتى ستنتقلين أنت وآيمي إلى هنا؟

ـ بعد الميلاد.

ـ ولم الانتظار؟

ـ يبدو أنسب وقت. فأنا لا أريد أن أخرّب لك أية مشاريع قد أعددتها.

راودها مجدداً إحساس بالتوتر وكأنها ضُبطت فارة في قطار إلى البعيد.

ـ أنا من يقرر ما إذا كنت تفسدين عليّ مخططاتي أم لا أما بالنسبة للتوقيت المناسب، فكلما أسرعتما بالانتقال، كلما كان ذلك مناسباً..

يراودني شعور بأنك تضعين قدماً في الداخل وتتركين الأخرى على أهبة الاستعداد للفرار عندما تسنح أقل فرصة.

قالت ليغ ممتقعة الوجه: «لا أدري ما الذي أوحى إليك بهذا الانطباع».

ـ لأنك تبدين غير مقتنعة بأن لجوءك إليّ كان عملاً صائباً.

هل كانت شفافة إلى هذا الحد؟ ام أنه شديد الذكاء عندما يتعلق الأمر بمعرفة شخصية الآخرين؟ في كلتا الحالتين، وجدت أن الأمر مزعج. لم تشأ أن تبدو شفافة فليس من غموض في الشفافية. وتساءلت بدورها: لِمَ علي أن أبدو غامضة؟ يا له من تعبير مضحك! لم تكنّ قط إعجاباً بنساء يلعبن لعبة مزدوجة ويعتمدن على الكلام المبطن. كانت تفضّل الأسلوب المباشر لذا تضايقت قليلاً عندما أوحى نيكولاس كندل بأنها مجرد مخلوق انفعالي يافع؟.

قال نيكولاس: «وماذا عن عطلة الأسبوع؟».

استجمعت افكارها وحصرتها بالمسألة التي في متناول يديهما ونظرت إليه وقد فغر فاها بذهول كما لو أن الاقتراح خرج تماماً من الفراغ: «هذه العطلة؟ الانتقال؟ إلى منزلك؟».

ـ اعتبري ذلك أمراً جيداً.

ـ ولكنه توقيت مبكر جداً. إنه أسلوب متعجّل كثيراً كما أن آيمي لا تكاد تعرفك.

ـ وهذا يمكن اصلاحه عندما تنتقل إلى منزلي.

ـ هل خطر لك بأنك قد تخيفها؟

ـ لا كما أنني لا أعتقد أنه خطر لك ذلك أيضاً.

وأكملت ليغ بعناد: «إنه مبالغ به... قليلاً».

ـ ولم؟

ـ السبب... مدرسة آيمي... الذهاب إلى هناك ثم العودة...

ـ ستأخذ نصف ساعة. على ما أذكر، فأنت عازمة على إبقائها هناك بصورة دائمة سواء أكان ذلك مناسباً أم لا.

ـ لم أقصد هذا.

ـ بل إنه صلب الموضوع.

وانحنى صوبها: «لقد جئت إليّ ليغ واكر. اقتحمت حياتي حاملة قنبلة بين يديك ولكن لعالمي قوانينه».

ـ هذا ما تردده باستمرار وأنا مستعدة للاعتراف بأنك والدها ولديك ملء الحق بإدارة تصرفاتها ولكنك لم تكن موجوداً في حياتها إلا مؤخراً..

ـ ما نعلمه كلانا جيداً، أن الأمر كان خارجاً عن إرادتي.

تجاهلت المرارة في صوته وتابعت: «ليس هذا ما قصدته ولكنني عنيت أنني أعرف مصلحتها أكثر منك وفي الوقت الذي سأستعد فيه لإطلاعها لن أقوم بأي خطوة. سأناقش ذلك مع آيمي وأطلعك على الموضوع».

لم تكن تنظر إليه ولكنها أضافت: «لو ظننت بأنه سيسبب لها إزعاجاً. عندها، يجب أن تصدقني وترجيء ذلك حتى تصبح معتادة على الفكرة».

أجاب باقتضاب: «جيد، طالما أن المسألة ليست تلاعباً لطمس ما يجب القيام به».

نظرت إليه ليغ بعينين متسعتين تمنت أن يجد فيهما البراءة: «ولم أفعل ذلك؟».

علّق نيكولاس: «لأنني أعلم أنه سيريحك أكثر لو اقتصرت مساهمتي على المال».

www.elromancia.com

ـ آه ها قد عدنا إلى ذلك الآن. أليس كذلك؟

لم يتكلّف عناء الرد. أشار إلى النادل بشأن الفاتورة من دون النظر إلى قيمتها وهي عادة لم تستسغها ليغ. قالت عندما كانا يرتشفان ما تبقى في قهوتهما: «وماذا عن الأثاث؟ لدي بعض الأشياء المعنوية التي أريد إحضارها معي وطبعاً هناك لعب آيمي كلها. أما الباقي فأكون سعيدة ببيعه. ماذا بقي منه بأية حال؟ كان علي بيع الكثير منه في الأشهر القليلة الماضية لتحمل العديد من النفقات».

ـ كان عليك المجيء إلي باكراً. ولكن لندع هذه المسألة جانباً.

ضحك باقتضاب وبجد وتراجع في كرسيه لكي يتسنى له شبك رجليه.

قالت ليغ بارتياك: «لا».

لِمَ يثير جسده المستند إلى كرسيه على هذا النحو في بالها صوراً لشيء بدائي قاتم وقوي؟

طرفت عيناها بسرعة، واعية لجنوح مخيلتها فخطر لها أنه لم يرد ذكر أية امرأة. هل هو مرتبط بإحداهن؟ هل سيتغير ذلك مع وفود طفلة صغيرة؟

ـ بم تفكرين؟

أعادت تركيزها على عينيه مستفسرة: «ولم تسأل؟».

ـ لأن وجهك بدا معبراً جداً. أنت جد يافعة على اتقان فن إخفاء أفكارك.

نظرت إليه شاعرة بالإهانة المفاجئة لوصفه فقالت: «كفّ أرجوك عن وصفي باليافعة! لقد خطر لي للتو بأنني أجهل ما إذا كنت... مرتبطاً بأحد».

ـ لا، أنت لم تفكري بذلك. لا؟ ولم يهمك من ناحية أو من أخرى؟

قالت ليغ بصبر: «لأن هذه المرأة لن يروقها أن تدخل حياتك ابنة في السابعة».

ـ إذا ما برزت مشكلة من هذا النوع، فستكونين أول من يعلم.

لم ينبئها كلامه بشيء ولكن بما أن عقلها تحوّل الآن إلى احتمالات أخرى، انصب اهتمامها على تخيلّ صور لنساء، نساء قد يثرن اهتمامه. لقد اوضح لها تماماً بأن الصغيرات لسن صنفه المفضل وتصوّرت أنه قد ينجذب إلى النساء الناضجات والممتلئات ذوات النهود الكبيرة والشفاه الممتلئة، اللاتي يرتدين حذاءً عالياً ويضعن طلاء أحمر.

كان يقول: «وبالحديث عن العلاقات، لا أريد أن تشعري بأن حياتك الاجتماعية مكبلة لمجرّد أنك تقيمين تحت سقفي. لك الحرية نفسها التي كنت تنعمين بها سابقاً».

هل كانت لديها حياة اجتماعية؟ لقد حافظت على صلتها بأصدقائها في الجامعة وكانوا يرتادون بشكل موسمي السينما أو يخرجون لتناول الطعام، ولكن برفقة آيمي ازداد الامر صعوبة أما الآن فلقد استبدل الطعام المتواضع بوجبات سريعة. وطبعاً، لم يعد هناك حبيب، ردت بتهذيب: «أشكرك».

ـ يستطيع اصدقاؤك الشبان المجيء والذهاب ولكن ضمن حدود واضحة.

ماذا عنى بذلك؟ فانبأته ببرود: «أنا لا أسلي محيطاً من الرجال».

ونظر إليها بكسل: «لا، لم أكن اظن هذا ولكنني شعرت بأن علي توضيح هذه النقطة».

فكرت ليغ لاحقاً بأن المسألة تكمن في أنها لا تجذب الرجال: «في الواقع، تكمن المشكلة في أنني واحدة من اللواتي لا ينتمين إلى جنس واحد».

لطالما أخبرت نفسها بهذه الحقيقة وارتاحت لذلك لأن الجاذبية كانت آخر شيء تبغيه.

***

www.elromancia.com

٥ ـ همسات قلب

لم تصدر عنه أي صيحة فرح عندما أخبرت ليغ نيكولاس هاتفياً بأنهما سينتقلان في عطلة الأسبوع للإقامة معه. انقطع صوته فتصوّرته جالساً أمام مكتبه ينتظر بنفاد صبر سماع ما لديها لتقوله ليقفل بعدها الخط ويتمكن من العودة إلى أعماله المتراكمة لإدارة امبراطوريته.

في الأيام الماضية، قامت بأكثر من التنقيب في أصله. لقد ذهبت إلى المكتبة خلال استراحات الغداء ودفنت رأسها في المجلات الاقتصادية، مفتشة بين المقالات التي لا يُحصى عددها. عثرت على مقال بتوسط الصفحة الأولى عن نيكولاس كندال، نشر قبل بضعة أشهر فقط عندما دشن شركة تعنى بالقطع الآلية إلى جانب شبكة أعماله المتسعة التي ورثها عن أبيه والتي تتمحور حول شراء الشركات المفلسة والعمل بعدئذٍ على تطويرها لتغدو ذات شأن لتباع لاحقاً محققة أرباحاً طائلة.

تضمّن المقال عدداً منها اتضح أنها لا تمت بصلة لبعضها، ما يفسّر نبوغه في الأعمال نظراً لقدرته على إدارة أي عمل كان. وُضعت صورة له متوسطاً موظفي إحدى الشركات الذين ارتسمت البسمة على وجوههم ما يدل على أنهم لم يُرغموا بفعل اللباقة على الابتسام أو انهم لا يعرفون نيكولاس كندل جيداً.

بحثت بانتباه عن أي معلومات عن حياته الخاصة، أي إشارة إلى النساء اللواتي مررن في حياته إلا أن صحفاً كالفايننشل تايمز وسائر المجلات المماثلة لم تكن مهتمة قطعاً بحياة نيكولاس كندال الخاصة.

ـ لا أستطيع التكلم حالياً. وافيني إلى النادي خلال أربعين دقيقة.

سمعت ليغ كلامه فأجفلت لثانية وأعلمته بأنها في العمل. هل ظن أنها كانت تسترخي في المنزل، من دون القيام بأي شيء تحديداً؟

ـ دعيه إذاً.

وأبدل السماعة فلم تستطع سماع الحجة التي تلفظتها شفتاه قبل أن ينبس بها.

أثناء قيامها برحلة عبر الأنفاق ومن ثم مشياً إلى ناديه، استطاعت الشعور بغضبها المتصاعد. إذا كان هذا النوع من التوبيخ المقتضب هو دلالة على ما يمكن أن تكون عليه الحال عندما تعمل لديه، عندها يجب عليها أن تعلمه بذكاء أن الأمور لن تُسوَّى بينهما. هل كان يتصور بكل بساطة أنها ستكون رهن إشارته في الليل أم النهار؟

وصلت إلى النادي متأخرة عشر دقائق عن الموعد وهناك اقتيدت إلى غرفة الجلوس حيث كان ينتظرها وقد فتح حقيبته على الطاولة الصغيرة المستديرة أمامه وهو يتكلم عبر هاتفه الخلوي. أشار عليها بالجلوس وأكمل حديثه من دون النظر إليها. كان قد خلع سترته التي علّقها على ظهر الكرسي الإضافي وقد رفع كميه حتى مرفقيه.

أسندت ليغ ظهرها إلى الكرسي، وشبكت ساقيها وتأملته من خلال رموشها الكثيفة. لقد نُعت كرجل أعمال بارع وكانت تصريحاته تُقابل بالاحترام وعندما كان يُصدر أدنى تلميح بأنه قد يشتري شركة ما كانت أسهم هذه الشركة ترتفع. عندما أنهى حديثه أطفأ الخلوي ووضعه في حقيبته ونظر إليها نظرة طويلة.

ـ جيد.

قالت ليغ بطريقة فظة: «لم يكن هناك داع فعلاً لجرّ نفسك من المكتب للقائي.. لقد اتصلت بك فقط لأقول بأننا ستتمكن من الانتقال خلال عطلة الأسبوع».

ـ تناولي فنجان قهوة.

على الطاولة، وضعت صينية عليها أوانٍ فضية.. صحن ذو شكل غريب عليه قطع بسكويت مصنوع على الطريقة المنزلية. صبّ لها فنجاناً وناولها إياه قائلاً:

ـ سأكون خارج البلاد حتى الجمعة ومن الأفضل أن نناقش الترتيبات وجهاً لوجه. أفهم أن آيمي لم تبد معارضة بشأن الانتقال إلى المنزل؟

ـ في الواقع، لم تبدِ اية ردة فعل بل تقبلت العرض من دون سؤال.. إنه قبول مسالم يظهره الأطفال احياناً.

«متى» كان أول سؤال طرحته آيمي؟ فتعجبت ليغ من سؤال «متى» بدلاً من «لماذا»؟ أو منذ متى نعرف ذلك الرجل لننتقل للسكن معه؟ أو حتى لا أريد مغادرة منزلي.

ـ لقد استطعت إقناعها بأن عرضك اللطيف قد جاء في وقت مناسب لأن المصرف سيأخذ المنزل.. اضطربت طبعاً بشأن الموضوع برمته وأعتقد أنه بإمكانك تفهم ذلك فهي لا تكاد تعرفك.

إلا أن آيمي قالت لليغ عندما سألتها عن رأيها بنيكولاس كندال: «بروق لي.. أظن أنه لطيف».

فمرّ في ذهنها بأن عبارة لطيف لا تنطبق على شخص شرير بطبعه، قاس، سلطوي، لا يُحتمل ومتعجرف.

قال نيكولاس: «واثقة أنت من أنك لا تصفين انطباعاتك على موضوع انتقالك للعيش معي؟».

احمرت ليغ واحتمت بفنجان القهوة مؤقتاً وهي تعقب على كلامه: «لست متوترة ابداً بشأن الانتقال في الواقع».

وحدقت فيه مباشرة: «وفي كل الأحوال، وبما أنك تنوي استخدامي، أظن أن علينا توضيح طبيعة العمل وما سيكون عليّ فعله».

رفع حاجبه دهشاً لذلك: «ما تفعلينه حالياً بالتحديد.. أظن ذلك».

ـ هذا جيد لانني أرفض فعلاً أن أُطرد من وظيفتي اليوم.

ـ إذا كنت تتوقعين اعتذاراً على هدر وقتك...

واحتسى قهوته ونظر إليها من خلال فتحة فنجانه وقال: «أولاً، أظن بأنك قدمت للتوّ انذاراً...».

ـ أجل ولكن...

ـ ثانياً، أنت تمقتين المكان.

ـ المقت كلمة قوية.

ـ ثالثاً، قضيت وقتاً لا بأس به محاولةً إقناعي بأن آيمي تأتي في المرتبة الأولى، لذا لا يسعك الرفض عندما أسألك أن نلتقي بهدف مناقشة وضعها.

رنّ هاتفه الخلوي فضغط على زر وأطفأه ثم قال: «والآن، بالنسبة للتدابير، سأرسل أحداً ما للاهتمام بمسألة التوضيب. ما عليك إلا أن تشيري ماذا تريدين أن تأخذي أو تتركي. ليس لديك أغراض كبيرة الحجم للنقل لذا أعتقد أن شاحنة صغيرة ستفي بالغرض».

أضافت ليغ بسرعة: «ليس من داع فعلي لتكليف نفسك. سيكون شاقاً الإملاء على شخص ما يمكن أو ما لا يمكن توضيبه. سأتأكد من أن يجهز كل شيء صباح السبت».

سألها بعدما اتفقا على التوقيت: «تكرهين ذلك. أليس كذلك؟».

بدأت ليغ تتساءل عما إذا بدأت تهدر الكثير من وقت عمله الثمين، لذا أساءت فهم السؤال: «ماذا؟».

لم تستطع خداعه وقد رأت ذلك من خلال التعبير البادي على وجهه.

ـ تكرهين الطريق التي اتخذتها الأحداث منعطفاً في حياتك.

ـ إني حذرة ليس إلا.

ـ مفهوم.

ـ أظن أن الأبوّة أُلقيت عليك ولكنك لا تعلم من البداية ماذا يعني أن يقيم طفل معك تحت سقفك. هل ستظل متحمساً بعد مرور شهرين؟ ستة؟ لن تعود قادراً على إرجاعها إلى مكانها، أنت تعلم. قد تكون والدها الطبيعي ولكن، فلنواجه ذلك، ربما تعلم عن عملك أكثر مما تعلم عن

www.elromancia.com

ابنتك.

اسودت عيناه فوضع فنجانه ببطء على الطاولة وانحنى صوبها مسنداً ذراعه على ركبتيه.

ـ فلنوضح شيئاً ما آنسة واكر. يبدو أنك مرتاحة تماماً بلعب دور القاضي والجلاّد وبانتقاد أسلوب معيشتي طبعاً.. لديك شكوكك وأنا أتفهم ذلك ولكنني سئمت فعلاً من استنتاجاتك السريعة ومن عظاتك. إذا ما شعرت آيمي بأنك لا توافقين على هذه الخطوة، فلن يطول الامر قبل أن تبدأ بالشعور بالحيرة وأنا لن أسمح بحدوث ذلك.

تصلب جسم ليغ فلم تعد تستطيع التنفس رغم أنه لم يبد غاضباً ولكنها أدركت أن في كلامه حقيقة.

تابع هامساً: «ربما تكرهينني ولكنك ستكونين مهذبة. هل تفهمين؟».

وجدت بأنها تكلمه بهمس رغم خلو الغرفة إلا منهما.. لم يكن المكان مناسباً لافتعال مشكلة ما ولكنها قالت: «ليس هناك داع لمعاملتي كطفلة».

ـ إن تصرّفت كطفلة، فستُعاملين كطفلة.

نظرت ليغ إليه عاجزة عن الكلمات وهز أخيراً رأسه بنفاد صبر قائلاً: «مجدداً تلك النظرة».

ـ أي نظرة؟

ـ تلك النظرة الواسعة البريئة.

ـ التي تثير أعصابك... أعتذر...

وأحست بالدموع تحرق عينيها... هل كانت تتصرّف كطفلة؟ أجل، أجل، افترضت أنها كذلك. لطالما حصلت على رعاية شقيقها واهتمام والديها اللذين كانا متقدمين في العمر. عندما مات والداهما، رعتها جيني واهتمت بها ووضعتها في قائمة أولوياتها محتلةً بذلك دور والديها. كما أن التحاقها بالجامعة، لم يقوِّ عودها.

ها هي الآن تتحمّل مسؤوليات لم تعتدها من قبل وتتعامل مع رجل يتمتع بخبرة واسعة بالنساء. لقد أُجبرت على النضوج وهكذا كان ولكن تحت هذا الغطاء، ما زالت طفلة يافعة، تحاول بجهد البقاء قوية. تحلت بالقوة لدى وفاة جيني وروي، والسبب آيمي. كما تحلّت بالقوة عندما انهارت علاقتها بمايك. لطالما تظاهرت بالقوة في أحلك الأوقات ولكنها لم تتمتع بالقوة الكافية لمواجهة هذا الرجل.

ـ تباً، لا تعتذري، لم يكن مقصوداً أن يبدو ذلك إهانة.

توقف ولاح شبح ابتسامة على شفتيه: «أنت مليئة بالتناقضات.. أتعلمين ذلك؟».

نظر إلى ساعته وأقفل حقيبته: «هل تم ترتيب كل شيء للعطلة إذاً؟».

نهضت ليغ وأومأت وهي تشد إلى الأسفل تنورتها السوداء الكئيبة محاولة أن تبدو عملية ومهنية فقال: «سآتي لتقديم المساعدة لبعض الوقت خلال الصباح و...».

نهض ليرتدي سترته وقال قبل أن تتمكن من مقاطعته: «لا تقولي لي بأنه لا داعي لإزعاج نفسي».

واستقام، ونظر إليها بتمعن فبدأ الخجل يزحف إلى بشرتها ومنحها مزيداً من ابتساماته البطيئة والمسلية التي وجدتها مشتتة للأفكار.

نهضت وهمّت باستباقه إلى الباب: «لا داعي لإزعاج نفسك».

وتساءلت في وقت لاحق عن قصده.. ففي دقيقة واحدة كانت غاضبة ومُهانة من صراحته الفجة ثم حدث شيء ما وأخذ الحياة من أنفاسها إلا أنها لم تستطع إدراكه. كل ما أدركته هو أن قلبها كان يخفق بعنف كطبل في صدرها عندما انفصلا..

هل مرد ذلك إلى افتقارها للخبرة؟ وأبعدت الأسئلة المحيّرة إلى أعماق تفكيرها وحصرت اهتمامها بقضية تفريغ الخزائن والرفوف من أغراضها المتواضعة التي تحتاج إلى إخراجها عبر عمل دؤوب.

لقد احسنت الآن بترك عملها. وأخيراً سمح لها رب عملها الحانق

www.elromancia.com

والمزعج أن تترك عملها دون أن تعطيه شهر إنذار كامل ولكنها كانت بحاجة إلى وقت لتوضيب أمتعتها.

عندما كانت آيمي في المدرسة، أنجزت في يوم واحد الكثير من العمل، والأهم أنها لم ترغب في إيجاد ما يفتح لها أبواب الذكرى. ولكن في الأمسيات، كانت آيمي تصرّ على المساعدة التي كانت تشكل في الغالب عائقاً سلبياً.

كل الأغراض الصغيرة التي كانت تحتاج إلى توضيب أنجزت بعناية متناهية واستغرقت وقتاً أطول من الوقت الذي كانت ليغ ستأخذه لو أنجزته بمفردها.

رحبت آيمي باكتشاف ألعابها القديمة وإضافتها إلى المجموعة المتراكمة من الأشياء المراد نقلها إلى منزل نيكولاس.

صباح السبت، تضاعفت الكمية المنوي نقلها خمس مرات تقريباً. سارت الشاحنة ببطء وتأخرت أربعين دقيقة عن موعدها الذي التزم به نيكولاس الذي ظهر مرتدياً ما كان يحسبه بلا شك ثياباً قديمة تفي بالمهمة.

قالت فور دخوله إلى المنزل: «آسفة، هناك أكثر مما توقعت من قطع وأشياء. آمل ألا تمانع».

كان صوتها ناضجاً ومهذباً جداً لأنها قررت منذ آخر مرة وقعت عيناها عليه بأنها لن تتصرّف بعد الآن كطفلة يافعة. لن تسمح له بتحجيمها.

لقد بذلت جهوداً جبارة لوضعه تحت المجهر وبما أن والد آيمي هو غريب دخل حياتها عن طريق القدر، كان وجوده في حياتها أمراً مفروضاً وليس خياراً.. لقد كانا كائنين مختلفين ولكن ظروفاً خارجية جمعتهما على العيش معاً في سياق الأحداث الطبيعية. لم يكونا ليلتقيا قط.. ولو حدث والتقيا، لما كانا ألقيا نظرة اهتمام واحدة على بعضهما بعضاً.

وهكذا أخبرت نفسها بأن ما يقوله أو يفعله لن يكون له أي تأثير فعلي عليها. نظرت آيمي التي كانت جالسة على الأريكة محتضنة كتاباً وقالت

بثقة مذهلة بالنفس: «قلتُ لليغ بأنك لن تمانع».

ابتسم نيكولاس وكانت تلك الابتسامة البطيئة، الدافئة والساحرة هي السبب في تسلُّله بسرعة إلى قلب آيمي وفي وصفه كشخص لطيف، مهتم بالآخرين.

قال نيكولاس لها: «إنه منزل كبير».

ومشى صوبها إلى حيث كانت متربعة على الأرض وقرفص على الأرض قربها، فبات على مستواها.. ألقى نظرة خاطفة على غلاف القصة ثم نظر إلى ابنته وقال: «إنه كبير لدرجة أنه يسع كل الأشياء التي تودين إحضارها».

سألت آيمي باهتمام: «كم يبلغ حجمه؟».

وصف لها نيكولاس منزله، ليس كسمسار بيوت ولكن بلغة مضحكة يمكن لطفلة أن تستوعبها. أخبرها بأنه قد بني خصيصاً على أمل أن تأتي فتاة مثلها لتعيش فيه، فأحست ليغ بشيء في حلقها لدى سماعها ملاحظته المؤثرة والسخيفة. حسناً، إنه يعلم بالتأكيد كيف يطلعها على ما يريد وفكرت ليغ بأن قلبها قد غاص عندما رأت وجه آيمي المسرور. وفكرت في سرها: إذا ما آذيتها، فستضطر لمواجهتي.

سألت بصوت بدا لها أكثر برودة مما اعتزمت: «هلا ذهبنا؟».

نظرا إليها معاً.

أحست بشعور غريب وقد صعقها التشابه بينهما وهما على مسافة قريبة فبمجرد النظر إليها، يبدو أنهما ينتميان إلى بعضهما البعض.

سأل نيكولاس وهو يستقيم: «هل أفهم بأن حمولة واحدة ستكفي؟».

وزال السحر من وجهه وبدت عيناه بمثل برودة صوتها.

ـ آه، أجل.

أجبرت ليغ نفسها على الابتسام لأجل آيمي وأردفت: «سأتفقد الغرف قبيل أن نذهب لأتأكد من أننا لم ننس شيئاً..».

تركتهما في مكانهما. كانت تخشى عندما تحين ساعة الرحيل، أن

www.elromancia.com

تنهار آيمي. ولكنها عندما عادت إلى غرفة الجلوس بعد نصف ساعة، كان نيكولاس قد نجح في الاستئثار باهتمامها. لقد أحضر لها لعبة على شكل كمبيوتر صغير وكان يشرح لها طريقة استخدامه. غادرا المنزل حيث كانت آيمي غارقة كلياً بما قدّمه لها ورمقته ليغ بنظرة امتنان.

قالت له عندما أصبحا في السيارة وابتعدا: «فكرة جيدة».

ثم أومأت له باتجاه المقعد الخلفي: «لقد كنت متخوّفة قليلاً».

ـ مم؟ أجل، مفهوم. من المحتمل أن يكون وقتاً صعباً.

كانا يتكلمان بالألغاز رغم أن اهتمام آيمي كان مأخوذاً بعيداً جداً عن حديثهما.

سألها محاوراً وهو يلقي عليها نظرات جانبية خاطفة: «وأنت؟ بخير؟».

دهشت كثيراً لإظهاره اهتماماً حقيقاً بها فأجابت بصوت بعيد عن الحيرة، حاولت أن تعتمده في حضوره: «أعتقد ذلك».

تنهدت وهزت كتفيها بلا مبالاة: «سأعيش».

ـ أجل بصعوبة دائمة.

توقفا عند إشارة مرور واستدار ينظر إليها. تشابكت أعينهما لمدة طويلة وكانت هي من استدار بعيداً.

كانت لعبة الكمبيوتر تصدر من المقعد الخلفي أصواتاً عالية وغريبة فغطت ليغ ارتباكها المؤقت واستدارت في مقعدها وهي تسأل آيمي أن تشرح لها طريقة عمله.

فقالت لها مرغمة وهي تحمل إليها اللعبة لكي تتمكن ليغ من التظاهر بتفحصها حتى ولو كانت عيناها غير قادرتين على النظر أمامها: «عليك أن تضغطي على هذا الزر».

كان وجه ليغ على بعد إنشات قليلة من كتف نيكولاس وصُدمت عندما أدركت مدى تأثير قربه عليها فاستدركت تقول: «وهل يصدر هذا الصوت؟».

ـ حرّكي هذه الصورة... هناك.. عليك أن تجعليه يهاجم تلك النقاط الصغيرة. هل رأيتها! هكذا...

ـ وماذا يحصل حينها؟

ـ عندها، تحصدين نقاطاً في نهاية اللعبة.

ـ وعندها ماذا؟

وعندها قال نيكولاس وهو يسعّل: «تصبحين مدمنة حتى الجنون فتكررين الجولة من جديد لتسحقي النقاط التي سبق أن حصدتها».

استعادت ليغ مكانها على المقعد ونظرت إلى وجهه الجانبي وقد بدت عليه التسلية وأخبرته مرتبكة: «لا تبدو طريقة بنّاءة لقضاء الوقت».

ـ السبب أنك فنانة لذا فإن تعريفك للوسيلة المفيدة لملء الوقت هي عبر ابتكار شيء.

رمقها بنظرة ثم حوّل اهتمامه نحو الطريق أمامه وأضاف: «لقد نشأت مع الأوراق، الألوان والرسوم».

ـ الأوراق والألوان ما زالت تُستعمل سواء صدقت ذلك أم لا.

كانت الأصوات الرنانة تصدر من الخلف مصحوبة بصيحات من الفرح يعقبها آهات احتجاج.

تابع نيكولاس: «ولكن الكمبيوترات أضيفت اليوم إلى المعادلة».

ـ لا بد أنك استخدمت واحداً في عملك.

قال نيكولاس وهو ينظر في المرآة للتأكد من أن الشاحنة تسير خلفهما: «بالتأكيد».

كانت ليغ تحسّ بشعور قوي من الراحة يتغلغل في كيانها ويملأها ووجدت نفسها تتمنى بكسل لو تستمر السيارة بالسير للأبد.

لم تستجمع نفسها إلا عندما بدأت السيارة بالإبطاء وانعطفت يميناً ولم تع مدى نجاح نيكولاس في إزاحة العبء عن كاهلها إلا عندما كانوا يفرغون الشاحنة وينقلون الأغراض إلى المنزل. لقد لازمها التوتر منذ اليوم الذي توفيت فيه أختها والذي اتضح أنه رافقها قبل ذلك بسنوات

www.elromancia.com

حتى. نظرت إليه فيما كان يصعد السلالم معها وقد تبعتهما آيمي عن قرب وتساءلت كيف بحق الله نجح في القيام بذلك. كيف تسنى له ذلك؟ لم يكن يروق حتى لها؟ كان يرشدهم إلى الغرف فيما كانت آيمي تفتح الأبواب طارحة الأسئلة بصراحة تامة.. قالت له فيما كانا واقفين في وسط كومة الصناديق حيث راقبت آيمي صناديقها: «أيمكنك مساعدتي بترتيب دُماي».

قالت لهما ليغ: «سأترككما لشأنكما».

وهكذا كان، فاتجهت نحو غرفة النوم الأخرى وبدأت بإفراغ أغراضها: الثياب، بعض الكتب، القليل من الزينة، أدوات الرسم. لقد تسجلت في الجامعة لتلتحق بها في بداية الفصل الثاني فشعرت بأن ملمس فرشاتها وسطح صندوق معداتها التي كانت تستخدمها في تخزين رسمها هو أشبه ببلسم لها.

كان ظهرها مواجهاً للباب عندما سمعت صوتاً وراءها: «في الطابق السفلي غرفة يمكنك استخدامها كإستديو إذا أحببت».

والتفتت لتجد نيكولاس مستنداً إلى عتبة الباب فتساءلت على الفور كم مضى على وقوفه هناك يتأملها ثم أبعدت الفكرة عن رأسها. هل ظنّت أن تصرفه الودود معها في السيارة يعني أنه يجدها فجأة جذابة بشعرها القصير وجسدها النحيل ونمشها؟ بغض النظر عن جاذبيته الساحقة الآسرة التي لاحظتها عندما أدركت أن الابتعاد عنه يثير الاضطراب فيها.

قالت بارتباك من حيث كانت جاثية لتفقد علب الرسم: «هذا لطف منك».

صفقت الغطاء ونهضت.

ـ هل تسجلت في... جامعتك.

ـ سأبدأ الفصل الدراسي المقبل.

وحدّقا ببعضهما البعض وأسرعت ليغ بالكلام: «التوقيت مناسب. سأكون قادرة على إيصال آيمي إلى المدرسة والعودة بها خلال بعد الظهر،

كما أستطيع دائماً الرسم عند خلودها للنوم».

وسمعت نفسها تدمدم بانتقاد لاذع: «كان دوماً ضرباً من الجنون ايصالها إلى المدرسة في الوقت المحدد».

سكت صوتها. ولدهشتها، لم يبدُ في عجلة لقطع الصمت الذي ساد إثر كلامها فنظرت إليه بارتباك فيما كانت تفرك يديها بعصبية.

قالت عندئذٍ: «هل أنهت آيمي توضيب أغراضها؟ علي الذهاب وتفقدُها وإلا فإنها ستتلهى بأغراضها ناسية أن الهدف من هذا العمل هو ترتيبها».

نظرت إلى قدميها الحافيتين لأنها خلعت صندلها ومن ثم إلى يديها وثبتتهما لأن إقدامها على فركهما دليل واضح على توترها وليس هناك سبب وجيه لشعورها بالعصبية.

قال نيكولاس: «إنها منغمسة في التوضيب، دعيها وشأنها».

ـ جيد.

وساد صمت طويل قطعته ليغ بقولها: «سأنزل خلال دقيقة».

وأشار إلى سريرها فتبعت نظرته وقال: «هل لي أن ألقي نظرة على دفتر رسومك؟».

قطعاً لا.. بهذا فكرت ليغ مرتعبة للوهلة الاولى إلا أنها تعالت على رد فعلها الطفولي وأومأت بالقبول وراقبته يفتح الملف وينظر بإمعان إلى محتوياته يمسكها ويتفحصها. وأخيراً قال من دون أن ينظر إليها: «الفنانون لديهم حس نقدي. أليس كذلك؟».

وافقت محمرة الوجه: «كثيراً. لذا ارجوك خذ راحتك من الكذب».

ـ توقعت رسوماً أكثر تجريدية.

وأخبرته ليغ قاطعة عليه أي محاولة للتبجح بشأن حسنات الفن التجريدي: «أنا رسامة مملّة بالأحرى. هناك الكثير من الجمال حولنا، فلِمَ نتخلى عنه؟».

ـ فعلاً، لماذا؟

وأعاد رسومها إلى الملف الذي أقفله بإحكام ثم تراجع إلى الخلف واضعاً يديه في جيبيه. ومع أن اتساع الغرفة يفصلهما إلا أنها كانت تشعر بعمق بوجوده وبقوته الرجولية الخارقة.

أخبرها نيكولاس: «لقد أحببتها».

أومأت بدورها متمتمة بالشكر: «إنها نابضة ومثيرة للمشاعر».

توقف ثم قال ممازحاً: «هل جربت يوماً ارتداء شيء يماثل المرأة التي استوحيت منها تلك الرسوم؟».

لم تستطع إلا الإجابة متصنعة اللامبالاة: «وماذا تعني؟».

هز كتفيه وتابع النظر إليها: «ألواناً زاهية. شيئاً ما بدائياً، على ما أعتقد».

ـ أنا؟ لا، لا أظن ذلك.

فتقدم نحوها قائلاً: «مؤسف، سيكون مثيراً للاهتمام».

أحّست بموجة من الرعب، والإثارة والانقباض تسري فيها كتيار كهربائي. كان إحساساً لم تختبره من قبل.. توقف أمامها ونظر إلى وجهها المرفوع: «مؤسف أن يبوح منك ما تخجلين الاعتراف به».

لم يضع إصبعاً عليها ولكنها أمسكت أنفاسها وكان جسدها يميل كما لو أنه لمسها.. وصوّرت لها مخيلتها بأنه يعانقها.

ـ سيجهز الغداء خلال نصف ساعة.

طرفت عيناها بسرعة وعادت إلى الواقع، مصدومة لردة فعلها تجاهه، مذهولة من خيانة جسدها الذي استجاب بمثل تلك الطريقة الجلية أمام وضع لم يحدث حتى.

وأردف نيكولاس: «السيدة ماكبرايد تحضّر شيئاً خفيفاً».

سحبت نفسها بعيداً عنه وكتّفت ذراعيها اللتين توقفتا على الأقل عن الارتعاش وقالت: «الطعام الخفيف يناسبني».

قالت آيمي عند عتبة الباب: «لا أحب السلطات».

استدارا نحوها معاً فقالت ليغ وإحساس عميق بالراحة يشوبها لظهور

قريبتها في الوقت المناسب تحديداً: «واثقة من أن السيدة ماكبرايد ستحضر أكثر من ورقتي خس فيها».

قال نيكولاس: «سيكون عليك إعلامها بما ترغبين أو بما لا ترغبين من المأكولات».

ولكن... هل صورت لها مخيلتها أنه تراجع قليلاً هو أيضاً؟

وضحكت ليغ: «آه، لا أظن. ذلك وإلا فأننا لن نأكل كل مساء من الأسبوع سوى البيتزا والناغتز بالدجاج».

وعبست آيمي: «وما الخطأ في ذلك».

عندها، توقف نيكولاس الذي كان في طريقه إلى خارج الغرفة ليعلم ابنته أن هناك اصنافاً مغذية من الطبخ أكثر بكثير مما يوجد في صحن الناغتز بالدجاج.

فور مغادرته الغرفة، أحست ليغ بأن تنفسها قد انتظم.

أجّلت موضوع الاستحمام إلى ما بعد الغداء وتحدثت بصوت فرح أكثر من العادة مع آيمي فيما كان رأسها يحاول بصدق تحليل مشاعرها.

هل سبق لمايك أن حرّك مشاعرها هكذا؟ هل أثار في داخلها إحساساً بالعجز أو توقاً؟ لا، لا، أبداً وها هي، عندما تفكر فيه، لا تتذكر إلا تصرّفه الصبياني الطائش. عندما كانا طالبين خاليين من الهموم، وجدت فيه سحراً يرمز للحرية وللتمرد. وعندما بدأت المسؤوليات بالتراكم عليها، رأت ذلك دليل ضعف. وعندما احتاجت كتفاً تبكي عليها، لم تجده لأنه لم يكن يملك بكل بساطة القوة لمنحها إياه. كانت الحياة في الجامعة شبيهة بالعيش في مكنسة كهربائية.. لقد أدركت مبكراً أن مايك لم يكن ليتحمل هذه المحنة حتى أنه لم يكن يود ذلك. أهناك فرق بين هذين الاحتمالين؟ لم تكن قادرة على تخيله في هذا الوضع.

نظرت حولها إلى إمارات الثراء التي هي نتيجة العمل الشاق والمجهود الطويل ونتيجة عقلية خارقة وذكية يتمتع بها شخص لم يتنحَّ يوماً عن المسؤوليات التي ألقتها الحياة على عاتقه.

اتجهت هي وآيمي إلى المطبخ في الأسفل. لقد نجحت في قمع ردات الفعل المثيرة للدهشة في باطن تفكيرها.. لديها مهمة لتنجزها من دون شرود.. أقلّه بعيداً عن الرجل الذي لا ينتمي أساساً إلى عالم مختلف.

كان واقفاً قرب الخزانة بيده فنجان وإلى طاولة المطبخ جلست أجمل امرأة رأتها ليغ في حياتها وقد بدا الاسترخاء عليها وكأنها تنتمي إلى المكان.

إنها امرأة تخطت الثلاثين لكن بشرتها كانت ناعمة كالرخام أما شعرها الاشقر فكان مشدوداً إلى الوراء بإتقان.

من الواضح أنها كانت غارقة في الحديث مع نيكولاس. عندما استدارت إلى الباب لتنظر إلى ليغ، فتحت فمها قليلاً وكأنها على وشك التفوّه بعبارة ما. كانت جلستها مناسبة للتصوير، بعيدة عن العفوية ولكن الجمال غالباً ما يبدو على هذا النحو. إنه مرادف للغش والتصنُّع وللخيال الرائع الذي يستحيل لمسه.

قال نيكولاس وهو يبتعد عن الخزانة ليصب كوباً من عصير الليمون لآيمي: «هذه فيونا، ضيفتي».

وابتسمت ليغ له. ضيفته؟ بالتأكيد لا، فضيفته كما صاغها خيالها، عجوز مسترخية شبيهة بأمه.

نهضت فيونا قائلة: «إذاً أنت ليغ واكر».

كان جسدها طويلاً، ممشوقاً من النوع الذي يستحق الإطراء مهما كان ما يرتديه.

ابتسمت المرأة وقالت لآيمي التي نظرت إليها بإمعان: «وأنت...».

وحدهم الأطفال يستطيعون النظر بمثل هذه الطريقة الجريئة دون أن يشعروا بالحرج... وأضافت المرأة: «لا بد أنك آيمي الصغيرة».

ونظرت ليغ إلى نيكولاس بنظرة يشوبها الارتباك: «لم أكن أعلم أنك برفقة...».

قالت فيونا بمرح: «آه، لا تقلقي بشأني. تظاهري فقط بأنني لست هنا، عزيزتي».

وقال نيكولاس لليغ وقد بدت التسلية في عينيه لارتباكها: «توقفت فيونا لدينا لشرب فنجان قهوة».

أدركت السبب الآن.. لا عجب في أنه يظنها يافعة وطفولية إذا قارنها بفيونا التي كانت ترتشف بطريقة استعراضية بقايا فنجانها محاولة كسب آيمي بابتسامتها الحادة مجدداً.

مشت بتأنق صوب نيكولاس، ووضعت يدها على ذراعه قائلة: «آه يا عزيزي، إنها فاتنة».

وتوجهت إلى آيمي التي كانت قد أنهت للتو عصيرها وكانت تضع الكوب الفارغ بحذر في مجلى المطبخ.

ـ أنت دمية كاملة. أليس كذلك؟

ردت آيمي بتهذيب: «شكراً لك».

ونظرت إلى فيونا بتعبير غريب وكأنها تراقب تحفة أثرية.. كبتت ليغ ضحكة وقالت محاولة إبقاء وجهها رزيناً وقد تصوّرت ردة فعل قريبتها المرعبة عندما تضطر إلى ارتداء أي فستان: «ينبغي أن تريها في فستانها المزهو، المزركش بالعقد والكشاكش وهو مزوّد بقبعة وحذاء أسود».

ـ يا للقرف!

وانفجرت آيمي ضاحكة فعبس نيكولاس في وجه فيونا التي بدت متضايقة من أن مديحها لم يلق صدى طيباً.

تابعت آيمي: «لم يعد أحد يرتدي هذا النوع من الملابس في مثل سني».

وهزت ليغ رأسها بأسف مبالغ فيه فرمقتها فيونا بنظرة مخيفة مزدرية.. قالت ليغ: «في يومنا هذا، يرتدي الأولاد، البنطلونات والكنزات وأحذية دوك مارتين السوداء».

علّقت فيونا بابتسامة باردة: «مثلك، يا عزيزتي؟».

ردّت ليغ على انتقادها، مبادلة إياها الكراهية التي بدأت تتصاعد من داخلها: «أعتقد ذلك».

ـ الغداء جاهز.

قال نيكولاس ذلك ثم اتجه نحو باب المطبخ وأخذ معه آيمي في طريقه.

رمق فيونا من فوق كتفه وسألها بعد لحظة تفكير: «كم من الوقت ستقضين في المدينة؟».

نظرت جانباً إلى ليغ وقالت: «بضعة أيام فقط ولكن بعد ذلك، من يدري؟».

وهمت ليغ باللحاق بهما إلى غرفة الطعام ولكنها قبل أن تتمكن من الوصول إلى باب المطبخ، أوقفتها فيونا. كان نيكولاس وآيمي قد تبخرا. قالت برقة وهي تبتسم: «أتمنى ألا تكوّني أية افكار في رأسك بشأن نيكولاس».

ـ عم تتكلمين؟

ـ اتكلم عن إقامتك هنا تحت سقفه. قد يكون نيكولاس رجلاً ساحراً جداً، ينتقل من امرأة إلى أخرى ولكنني لا أريد أن أراك تتأذين.

أحست ليغ بالدم يتدفق إلى وجهها وكان عليها أن تثبت نفسها على عتبة الباب وهمست: «لن يحدث ذلك أبداً».

ـ يسرني سماع ذلك، لأنك ولا شك جميلة، غير أن نيك لا يملك الوقت الكافي ليخصصه للصغيرات مثيلاتك. إنه يفضل النساء.

وتخيلتها تقول مثلي. ومنحتها المرأة ابتسامة أخرى باردة ثم غادرت فأكملت ليغ المسير ببطء إلى غرفة الطعام.

***

٦ ـ لحظة جنون

لم تكن ليغ تعرف ما قد تقوله فيونا، هل ستنفث المزيد من تحذيراتها السامة. كانت تتخيلها تدور حول المنزل أو تجول في أرجائه ولكنها على مدى الأسابيع القليلة التالية، لم ترها إلا من بعيد وفي مناسبات قليلة.

لقد سعت إلى اقتناص المعلومات من نيكولاس ولكن جلّ ما حصلت عليه هو أن فيونا تعمل مندوبة لدار أزياء ولذا تمضي معظم وقتها خارج البلاد. فتساءلت ليغ: ولكن ماذا تفعل في منزله؟ لا بد أنها قادرة على تحمل كلفة مكان تقيم فيه. وأخبرت نفسها مراراً وتكراراً بأن الأمر لا يعنيها في أيّ ناحية. ولكن ماذا لو كانت هي ونيكولاس على علاقة من نوع ما؟ المرات القليلة التي لمحت فيها فيونا كانت في الليل. في إحدى المرات رأتها ليغ مرتدية أحدث صرعات العصر وتحتسي شراباً مع نيكولاس ولم يسع ليغ سوى الافتراض بأنهما ذاهبان للعشاء أو للمسرح أو إلى مكان آخر. لقد سكن ذلك الهاجس تفكيرها فباتت تحيك صوراً في مخيلتها عنه برفقة الشقراء الأنيقة وهما يتحدثان ويتعانقان. وفي كل مرة، ذهب تفكيرها بهذا الاتجاه، أخبرت نفسها بحزم بأن نيكولاس كندل قادر على فعل ما يحلو له وبأنها لا تحفل بذلك. لديها أمور أخرى تقلق عليها، إذ عليها أن تحصر اهتمامها على مساعدة آيمي على التكيّف مع محيطها الجديد. أمضت أغلب أوقاتها في مساعدة آيمي على إنجاز فروضها وعلى ملاعبتها قبل النوم في غرفة الجلوس الصغيرة الكائنة في الطابق العلوي وقد حرصت على تدفئة فراشها وجعله مغرياً لها قدر الإمكان.

أحضر لها نيكولاس لوحة لويني، مستوحاة من الرسوم المتحركة. شكرته آيمي على ذلك جزيلاً وبعدما اطمأنت إلى عدم ممانعته في لصقها على الجدار، استبدلتها سريعاً بواحدة لأحد نجوم «البوب» وهذا ما أضحك نيكولاس.

بدت الأمور وكأنها مستقرة بشكل روتين محبب. كان نيكولاس يعود إلى المنزل في الأمسيات عموماً قبل أن تأوي آيمي إلى فراشها فيمضي معها بعض الوقت، يصغي إليها وهي تقرأ كتاباً أو تتحدث أحياناً. وكان يقرأ لها القصص، ولكن آيمي أخبرته بصراحة أن قصصه تليق بالأطفال وهي تفضل القصص الواقعية بدلاً من الخيالية الممتعة. في تلك الأحيان، كانت ليغ تنسحب ببراعة بعد إلقاء بعض النكات.

نسبياً، كانت ترى نيكولاس أحياناً قليلة. لقد تحدث معها بضع مرات إثر خلود آيمي للنوم عن مدرستها وعن كيفية تقبلها للوضع عموماً. ونجحت في تدريب نفسها على عدم الانفعال في حضوره وخصوصاً في مناقشات كهذه.

غير أن الفضول كان ينهشها بشأن علاقته بفيونا. هل كانت تلك، حياته الشخصية؟ أم أن له حياة حميمة في مكان آخر؟ كثيراً ما يخرج في الليل ولكنها لم تكن تدري إلى أين. لقد باشرت الرسم في الاستديو الذي باتت تستعمله الآن بصورة دائمة للتدرب قبل بدء الدراسة في كانون المقبل، ولكن في إحدى المرات قررت التفتيش عن نيكولاس. كانت تعلم أنه في الجوار، في مكان ما. لقد أرسلت آيمي إلى الفراش كالمعتاد وأعلمها في طريقه إلى الخارج بأنه سيعود لذا يمكنها الخروج برفقة أصدقائها.

بات الطقس قارساً في الأيام القليلة الماضية وتحوّلت الطبيعة من ألوان الخريف المذهبة إلى ألوان الشتاء الرمادية والبيضاء. حتى أن أرجاء المنزل حافظت على برودتها رغم أن جهاز التدفئة شغّال، لذا تدثرت ليغ بكنزة لدى ذهابها إلى الاستديو في الأسفل للرسم.

وقالت في نفسها بأنها ستنتظر. ولو كان في غرفة نومه.

إلا أنه لم يكن هناك. في البداية تفقدت المطبخ الغارق بالعتمة ثم غرفة الجلوس التي كانت مضاءة وفارغة. كانت تظن أنه أوى إلى غرفة نومه، عندما لاحظت نوراً شحيحاً يتسلّل من غرفة المكتب ثم سمعت من الداخل نبرة صوته العميقة فجمدت لبرهة، وأخذت تصغي لتتأكد من وجود أحد معه في الغرفة. بعد بضع دقائق، دقت الباب. عندها وعت بأنها لا ترغب في الواقع بالتواجد هناك غير أنها دخلت إلى المكتبة. لم يكن هناك فائدة من الرجوع الآن.

لقد كان يملي على آلة تسجيل، إلا أنه أطفأها الآن ودار بكرسيه ليتمكن من النظر إليها. كان الكمبيوتر النقّال الذي وُضع أمامه على المكتب دائراً وقد أظهرت شاشته ملفات إقتصادية. كم مضى على وجوده هنا؟ لقد تجاوزت الساعة التاسعة والنصف؟ ألا يستريح هذا الرجل ابداً؟

ـ نعم؟

وبدا عليه التعجب أكثر منه التوتر.

وقفت ليغ قرب الباب ويداها وراء ظهرها. حاولت أن تتذكر ما قدمت لقوله فعلّقت: «آسفة على إزعاجك».

لم يتفوّه بكلمة بل ضغط بإبهامه على عينيه ثم وقف وأطفأ الكمبيوتر وقال دون أن ينظر إليها: «لا تكوني كذلك. لقد اكتفيت من هذه الرسوم بأية حال».

ـ ظننت أنه بإمكاننا التحدث عن آيمي.

سألها بحدة وهو يستدير لمواجهتها: «هل ثمة مشكلة؟».

ـ لا، أريد مناقشتك ببعض الأمور.

ـ لنذهب إلى غرفة الجلوس فهي أكثر راحة.

لم تكن ليغ واثقة من أنها تبغي الراحة ولكنها تبعته.

ـ والآن.

قال نيكولاس وهو يجلس على الكرسي قبالتها: «ماذا هناك؟»

ـ فقط، أود إعلامك بأنني تحدثتُ معها بشأن تبديل المدرسة.
ـ متى.
وأقرّت ليغ: «هذا المساء».
ـ و؟ ما كانت ردة فعلها؟
ـ لقد انزعجت قليلاً لفكرة اضطرارها للانتقال وعقد صداقات جديدة.
ـ هل شرحت لها سبب الضرورة؟
ـ أخبرتها بأن المدرسة التي تذهب إليها الآن بعيدة قليلاً وقد تقبلت الامر. لقد باتت تخشى قليلاً التغيرات في حياتها فكيف بتعديل يليه آخر.
ـ مع أنها تبدو مستقرة هنا.
ـ أجل، إنها كذلك.
ـ ليس من شكاوى أجهلها؟
ـ لا.
ـ هل هذا كل ما كنت ستقولينه لي؟
ترددت قليلاً: «أفترض اجل».
ـ جيد.. لا تنسي أنني والدها. لا أتوقع منك أن تخفي عني شيئاً ما.
علقت بسرعة: «لم أنسَ».
ـ هذا ما يحملني على التحدث بأمر كنت أعتزم مناقشته معك.
وانقبضت معدتها قليلاً. لِمَ بدت رنة صوته بمثل هذا الجد؟ فتساءلت: «أجل؟».
ـ يجب أن نقرر الوقت المناسب لإطلاعها من أنا.
كانت ردة فعلها عفوية فصرخت: «ليس بعد!».
إنها لا تعرف متى سيكون الوقت مناسباً.
طرح سؤالاً يريد عليه جواباً فسألها وقد بدا صوته فولاذياً: «متى؟».
ـ حسناً، هذا ليس من الأمور التي يمكن تحديدها بشحطة قلم.

أردفت ليغ: «لست واثقة تماماً ما إذا كانت مستعدة أم لا لهذا النوع من التصريح، فروي بالنسبة لها هو والدها».
قال نيكولاس برقة: «ولكنه، لم يكن أباها بل أنا هو الوالد ولا أنوي الاستمرار في هذا الدور لبقية أيامي».
ـ أعلم ذلك.
ـ لا، لا اعتقدك تفعلين. أظن أنك تريدين أن يستمر هذا الوضع إلى ما لا نهاية وعندئذٍ يصبح من الصعب إطلاعها.
ـ لا، لن يتحقق ذلك.
ـ ستتساءل لماذا لم يتم إخبارها في وقت مبكر. كما أنني مضطر أن أكتفي بدور الشاهد حين يتعلق الأمر باتخاذ قرارات بشأن مستقبلها.
ونظر إليها بثبات: «ثم بصفتي صديقاً للعائلة».
والتوى فمه بسخرية مضيفاً: «لا أستطيع إرشادها ولا حتى توبيخها. أنا أراقب من الخارج وكأنني لا أبالي بهذا الوضع!».
ـ فهمت قصدك ولكن يجب عليك أن تحتمل الوضع مدة أطول بعد.
ـ أود سماع تحديدك لعبارة «مدة أطول».
وأخبرته ليغ: «بضعة أشهر ربما».
ـ لا يعجبني ما تقولين.
ـ ماذا تقول؟ لا أستطيع أن أكون أكثر دقة من ذلك.
ـ إذاً سأنوب عنك في هذه المهمة. ألا يمكنني؟
وأرخى يداً على ذراع الأريكة وربت عليها بثبات وبنعومة بأصابعه. راقبته ليغ مذهولة حتى أجبرت نفسها على تحويل انتباهها بعيداً عن حركته المنتظمة ونظرت في وجهه.
ـ لقد شارفت السنة على نهايتها. تبدأ آيمي في مدرستها الجديدة مع إطلالة السنة الجديدة. أنوي إعطاءها مهلة للاستقرار وعندها أزف لها الخبر مع أو بدون تعاونك.
وأحست ليغ باللون يتصاعد إلى وجهها فقالت: «بعبارات أخرى،

www.elromancia.com

أنت تدفعني للاهتمام بابنتك على ألا يكون لدي ما أقوله في أي شيء. أليس كذلك؟ قد ينوب أي أحد مكاني. تقتصر واجباتي ببساطة على الحرص على إطعام آيمي، والعناية بها وإلباسها، وإيصالها إلى المدرسة وإعادتها منها».

هز رأسه بالنفي وكأنه يطرد شيئاً مزعجاً: «لا تكوني سخيفة. لم أقل ذلك.. أنت توفرين لها الدعم المعنوي وأنا شاكر جداً لك. ولكنك لا تملكين حقوقاً عليها».

ـ لقد كنت وصية عليها في الأشهر الثمانية عشرة الماضية.

تنهد نيكولاس: «لقد تغيّر الوضع. وما زلت تعاندين. لم؟ هل أنت خائفة مما سيحدث لك عندما أُعلم آيمي بهويتي؟».

ونظرت ليغ إليه شزراً من خلف أهدابها. لا، إنها لا تخشى ذلك أبداً في الواقع بل لم تخطر الفكرة في رأسها ولكنها تخطر لها حالياً.

ما ستكون ردة فعلها إذا علمت بأنه أبوها..؟ حالياً، يداه مقيدتان أكثر. إنه مجبر على تحمُّل وجودها لأنه يعلم بأن آيمي تعتمد عليها ولكنه ينجح في ربط جسور إلى عواطف ابنته وآيمي تتجاوب معه.

في العطلات، كانا يختفيان لساعات في نزهة وكانت ليغ تجدهما أحياناً في المكتب يلهوان على الكمبيوتر الخاص به أو يجلسان أمام لوحة المفاتيح حيث كان يشرح لها بصبر قواعد اللعبة.

كانا يبدوان منسجمين.

لم تكن تعلم ما إذا كان مرد ذلك إلى رابطهما الدموي أم لأنهما يفكران على الموجة ذاتها. كلاهما يتحلى بالمنطق ويستمتع بالأمور المتعلّقة بالحسابات الواضحة والدقيقة.

فكرت ليغ بأن روي كان رائعاً مع آيمي.. كان يأخذها في نزهات ويلعب معها بالطابة في الحديقة ولكنها كانت في الخامسة والنصف من عمرها حينها. لقد مرّ الوقت وحصل تغيير كبير بين ابنة الخامسة والنصف وبين ابنة السنوات السبع. لقد حان الوقت ليغدو نيكولاس سنداً أساسياً

آخر في حياة آيمي وعندما تعلم بأنه والدها، فماذا سيكون دورها؟

لم يُدرج وقتاً محدداً ولم يخطر لليغ قط أن تسأل. كانت تحصر اهتمامها بالحاضر للتأكد من أن كل يوم يمرّ سالماً ولكن ماذا لو كان دورها انتقالياً؟ ماذا عندها؟

سألته الآن: «وماذا سيحدث؟».

هز كتفيه: «أنت شابة ولا أعتقد أنك تريدين الإقامة تحت هذا السقف إلى الأبد».

تمتمت ليغ بانزعاج: «لم أفكر في ذلك».

هل كان يفترض بها اقتراح مهلة لتحديد موعد رحيلها؟ وماذا ستفعل حينها؟ إنها لا ترغب في قطع علاقتها مع ابنة أختها. وأخبرها نيكولاس وهو يراقبها عن كثب: «لا أقترح عليك توضيب أمتعتك».

وفكرت يائسة.. ليس بعد. ربما لديه فكرة... فهناك فيونا. تُرى هل كانا ينتظران الوقت المناسب؟ وانقبضت معدتها لمجرد تفكيرها بفيونا وهي تتولى زمام تربية قريبتها. ستكون أماً سيئة. ألا يمكنه أن يرى ذلك؟ بمَ حكمت على آيمي؟.

فكرت ليغ ونهضت فشعرت برجفة في قدميها ثم همست مخطوفة الأنفاس قبل أن تشعر بالغثيان.

اتكأت لحظة إلى ظهر الكرسي للحفاظ على ثباتها وعندما رمقته، رأت أنه كان ينظر إليها وعلى وجهه قلق.

قال وهو ينهض متجهاً نحوها: «سأساعدك في النهوض».

ـ أنا بخير.

ـ لا، لست كذلك. أنت بيضاء كالورقة.

شعرت بيده على ذراعها وبذلت مجهوداً جباراً لإزاحتها فهي لم تكن تريده قربها. أحست بالدوار وبالقلق الفعلي لأن آيمي ستكون مجبرة على استبدال أمها بغول كفيونا. تخيلت البيت مجرداً من أصوات الضحكات أو من تبادل الأحاديث خلال الوجبات وتصورتهما يبعدان آيمي إلى مدرسة

www.elromancia.com

داخلية في ضواحي ديفون، إلى مكان ما بعيد لكي يستحيل عليها معاودة رؤية قريبتها. قد تبعد إلى مدرسة راقية في سويسرا حيث تدرَّب آيمي لتصبح نسخة مصغّرة عن فيونا.

صاحت بنيكولاس وهي تكافح بالقوة لإزاحة يده عن ذراعها: «انزع يديك عني!».

ـ ما الذي دهاك بحق الله!

ـ أريد منك فقط أن تدعني وحيدة!

وانحنى قليلاً قائلاً: «آه، بحق الله!».

وقبل أن تدرك ما يفعله، رفعها إلى أعلى بسهولة وكأنها لا تزن شيئاً.

وتخبطت ليغ برعب وإحراج إذ كانت يداه على كنزتها تحرقانها.. ثم استسلمت لهذه المعركة غير المتكافئة بما أنه لم يُبدِ أية إشارة لإنزالها على الأرض ثم رأته يصعد بها إلى غرفتها وهناك وضعها في الفراش حيث نظرت إليه بعصبية فيما انحنى فوقها.

لم تجرؤ على الاسترخاء رغم أن جسدها كان متعباً وليّن العريكة لذا استقامت قليلاً في جلستها مستندة إلى الأرائك وتابعت التحديق فيه متمنية رحيله.

ولكنه لم يرحل، بل جلس قربها على السرير فرفعت نفسها قليلاً إلى الأعلى لكي تريح رأسها بالكامل. فقال: «أنت مخلوقة عنيدة. أتدركين ذلك؟»

ـ لست عنيدة أبداً. أنت إنسان لا يُحتمل.

واختفى صوتها فتبادلا النظرات في ظل شحوب النور الذي يرخي ظلالاً على الغرفة. بدا جانب وجهه في هذا الضوء ولم تستطع تحديد لون عينيه اللتين بدتا قاتمتين وأكثر كآبة. وبدت زاوية فمه الملتوية، على شكل ابتسامة مغرية إلى حد مخيف.

أحست بنبضات قلبها تتسارع واستفاق كل عصب من جسمها وباتت واعية بشكل قوي لقربه. انحنى قليلاً وثبّت يديه على جانبيها وهمس:

«تستطيعين أن تكوني جذابة عندما تعتزمين ذلك».

وفتحت ليغ فاها فاكتشفت أنها عاجزة عن الكلام فأوتارها الصوتية قد شُلّت. ماذا لو دخلت عليها آيمي؟ فكرت ليغ في ذلك.. ولكن غرفة آيمي منفصلة عنها بغرفة الجلوس.. وعلى كل حال، لم يكن هناك فرصة لإيقاظها. إنها لا تستيقظ من نومها ولو حدث زلزال. وإلى جانب ذلك، عمّا تتكلم ليغ؟

وبدأت: «لقد أدركت».

وأحنى رأسه فيما كانت عيناه مغلقتين، ثم عانقها بقوة وبرودة.. كان يضمها إليه برقة فدعته بدفء إليها.. حرّك يداً لإمساك وجهها فصدر عنها تأوه ثم أصبح عناقه أكثر تطلباً، وأكثر جوعاً..

تبخرت الأفكار والدوافع فمررت أصابعها في شعره وقلبها يخفق خفقات سريعة جداً..

شعرت بأن قلبها يضمحل بالكامل أو هذا على الأقل ما شعرت به: الذوبان. وتاقت إلى أكثر من هذا العناق. لكنه لم يفعل بل تراجع في جلسته ونظر إليها مصدوماً وعندها فقط، استعاد عقلها وعيه. وفكرت مرعوبة في ما كان سيحصل لها. تبادلا النظرات بصمت ثم قال بخشونة: «لا أدري ما حصل هنا».

ودفع نفسه عن السرير فكان انسحابه بالنسبة إليها كدوش بارد، انهمر عليها. حاولت القول هامسة: «لا».

تخلل أصابعه في شعره وتجوّل في الغرفة قبل أن يواجهها مجدداً: «لا بد أنني فقدت وعيّي مجدداً. لا يسعني إلا الاعتذار».

وهمّ بالكلام فقاطعته باختصار قبل أن يكمل: «لا تفعل!».

لم ترغب في سماعه يتكلم عن ارتكابه خطأ رهيباً. لم تود أن يقول ما كان يفكر فيه وأنها آخر امرأة قد ينجذب إليها غير أنه لمسها في لحظة جنون واستجابت.. جاء صوتها واضحاً ولكن مضطرباً: «كان خطأ ولن يتكرر مجدداً ولا أريد سماع تحليل لهذه الحادثة».

ـ حادثة.

بدت الكلمة وكأنها تقلص ما حدث وتضعه في خانة لحظة ضعف قد تطوى جانباً ليتم تجاهلها لاحقاً.

كان صوتها وعقلها يقولان شيئاً واحداً ولكنها شعرت بالذل لأنه رفضها.

كانت على وشك أن تسأله ببرود عما إذا كان العناق من واجباتها كمربية، ولكن ذلك سيكون غاية في الخبث لأنها تعلم بأنها تاقت لذلك وربما أكثر بكثير من رغبته فيها. زادتها هذه المعرفة اضطراباً فكان أن أخبرته بهدوء: «من الأفضل أن تغادر».

نظر إليها بصمت لمدة طويلة فبدأت تشعر بالانزعاج. بمَ كان يفكر؟ لا، لم تشأ أن تعلم. عندما غادر أخيراً... بقيت في مكانها مدة طويلة، تحدّق إلى الباب المقفل وتحاول يائسة عدم تعكير أفكارها لأنها ستخاف مما قد تكتشف. وفي النهاية، تسللت من السرير وأخذت حماماً ساخناً ولكنه لم يستطع طرد ما قد بدأ يختمر في ذهنها.

في الأسبوع التالي، عندما كانت تراه في الأمسيات بصحبة آيمي، كانت تجيب بتهذيب عن أسئلته ولكنها كانت تشعر بتصلب جسمها لمجرد استعادتها ما حصل.

ولكن لم يكن يبدو على وجهه ما حصل بينهما لذا شعرت نحوه بالامتنان. وأغرقت نفسها بأمور كثيرة خلال النهار لإبعاد رأسها عن الأفكار المؤذية.

كادت تنسى وجود فيونا حتى سمعت وقع أقدام خلفها مساء الجمعة عندما كانت تصب لنفسها كوباً من الحليب في المطبخ. استدارت ليغ وقد رسمت على محياها ابتسامة باهتة وغامضة.

لقد توقعت نيكولاس، لذا ارتاحت لظهور فيونا التي بدت عائدة لتوها في العمل. كانت ترتدي طقماً زمردياً أخضر لا يناسب الطريق الجليدية والرياح القوية، ابتلعت ليغ الحليب بسرعة هائلة ووضعت

الكوب الفارغ على المجلى.

قالت فيونا وهي تضع حقيبتها على الطاولة عاقدة ذراعيها: «لم تتقاطع دروبنا منذ فترة».

ـ لا أعتقد أن نيكولاس في الجوار. لِمَ تتكلفين عناء حديث مهذب؟

ـ لا، لقد خرج مع زبائن.

فكرت ليغ شاعرة بنوبة غيرة: (هكذا إذن، فهي تعلم غدواته وأنا لست سوى المربية. لن يطلعني بالتأكيد على صولاته وجولاته).

قالت وقد اتجهت نحو الباب: «كنت خارجة للتو. لقد نزلت فقط لتناول كوب من الحليب».

ـ حليب. ما أروعه إذا كان مصحوباً ببعض الحلوى.

لم يكن في صوت فيونا أي ود، وقد بدا وجهها صلباً وناعماً إلى درجة التناقض.

تنهدت ليغ متعبة، غير راغبة بفتح جبهة وقالت: «أجل، صحيح، مصحوبة ببعض الحلوى».

ـ هل هذه هي الصورة التي تتكبدين كل هذا الألم لرسمها؟ فتاة الحليب والحلوى التي لا تضع أبداً مساحيق وترتدي الجينز دوماً؟

أخبرتها ليغ بضيق: «لا أحاول رسم أية صورة.. والآن، هلا عذرتني؟».

ـ لن ينجح ذلك. لقد سبق أن أعلمتك بذلك وسأرددها مجدداً.

ـ ليس لدي فكرة عما تتحدثين.

ـ بل تعلمين.. لذا يمكنك نزع تلك النظرة البريئة.. عن وجهك ليس في المطبخ سوانا الآن لذا لا داعي للتظاهر. لقد أطلعني نيكولاس على الخطط التي أعددتماها للميلاد؟

توقفت ليغ وعبست فلقد كان الخبر جديداً على مسمعها: «هل فعل؟ الخطط، أي خطط؟».

وصاحت فيونا: «أجل، لقد أطلعني. ستذهبان أنتم الثلاثة إلى المنزل

الريفي. حميم جداً، الأسهم النارية، شجرة الميلاد وبابا نويل ينسل من المدفأة».

نظرت ليغ إلى المرأة الأخرى بذهول ثم بغضب لفكرة أن تلك التحضيرات التي اتخذت تمت بدون استشارتها حتى... ولكنها لن تبدي امتعاضها أو أي شيء منه.. آه، لا، ستنتظر حتى يعود نيكولاس وعندها ستسأله ما الذي يخطط له. لِمَ يكلّف نفسه عناء مراجعتها بالخطوات أو باستشارتها في أي شيء؟

قالت فيونا وقد غرزت أظافرها في ذراعيها: «لا تعتقدي بأنني سأقبع على الهامش فيما تسعين بكل قواك إلى جرّه إليك».

واستدارت ليغ بسرعة: «ليس لدي ما أقوله عن هذه المسألة. ما تفعلانه أنت.. ونيكولاس لا يعنيني أبداً ولن يعنيني أبداً».

ولكنها فكرت ضمناً بأنها ستحاول اكتشاف ما يجري بينهما ولو على جثتها... ولو لمرة واحدة على الأقل.

أدركت بأن الغيرة العميقة، المؤلمة والمربكة تنهشها ولكنها لم تكن تهتم لذلك. غادرت المطبخ متجاهلة لمعان الغضب في عيني فيونا.. وأخيراً استقرت في غرفة الجلوس بانتظار قدوم نيكولاس.

أضاءت المصباح قرب الكرسي وقد استغرقت في النوم ساعة ولم تستفق إلا على الضوء المسلّط على رأسها وعلى مرأى نيكولاس منتصباً أمامها وقد ألقى سترته على كتفه ممسكاً إياها بيد واحدة فيما استقرت الأخرى في جيب سرواله.

نظرت إليه باستغراب وهي تفرك عينيها: «كم الساعة الآن؟».

عندما أخبرها بأنها تعدّت الحادية عشرة، استقامت في وقفتها وحصرت تفكيرها فتذكرت ما كانت تفعله بالأسفل.

أجابها بخشونة عندما كانت تضع يدها على شعرها المشعث محاولةً تسريحه:

ـ اذهبي للنوم.

استدار مبتعداً ولكنها اوقفته قبل أن يرحل.

قالت ببرود: «أريد أن أتكلم معك».

استدار نصف دورة لينظر إليها قائلاً: «عم؟ ألا يمكن لذلك أن ينتظر حتى صباح الغد؟».

ـ لا، لا أظن ذلك.

ـ حسناً، ما الأمر؟

وبقي متكئاً إلى عتبة الباب، ينظر إليها فتساءلت ليغ عما يراه. طالبة فنون سابقة، يافعة، غير متأنقة ولا تحسن التصرّف. افترضت ليغ بأنه يراها مرتدية جينزاً مهلهلاً وقميصاً أبيض واسعاً. وفكرت في فيونا، وهي مرتدية طقم زمردي فأحست بنوبة الغضب نفسها التي انتابتها قبل قليل في المطبخ.

ـ لقد تلقيت زيارة من... ضيفتك لتقول لي فيها إنك خططت لعيد الميلاد الذي سنقضيه نحن الثلاثة من دون أن تستشيرني في ذلك حتى! لقد سئمت ذلك يانيكولاس!

ـ لقد انتظرتني لتقولي لي ذلك!

بدا صوته وكأنها انتظرته لتقول له إنها كسرت ظفرها.

ـ أجل.. ألا تظن أن المهم أن تستشيرني قبل أن... تتدبّر الأمور من وراء ظهري! وبعد ذلك أخبر العالم أجمع به.

فصحح لها نيكولاس: «لم تكن خططاً. صدف أن أطلعت فيونا على ما كنت أعتزم القيام به ونويت إعلامك بالأمر في المرة المقبلة التي ألقاك فيها.

ـ إعلامي؟ الا تظن بأن لديّ أنا وآيمي مشاريع بديلة للقيام بها؟

ـ وهل لديكما؟

ـ كنت أفكر في قضاء نهار الميلاد مع كارول ودايفد، جيراننا القدامى... لقد أمضينا معهما ميلاد السنة الفائتة وكان ممتعاً جداً.

ـ إذاً، فكري مجدداً. فهذه السنة، ستقضيانها معي أنا.

صاحت وهي تشعر بالتعب والاستغلال ينهشانها: «شكراً جزيلاً على نيتك في اطلاعنا على الموضوع».

وتقدّم نحوها وجلس على زاوية الطاولة المربعة المنخفضة أمامها: «اسمعي؟ أين تكمن المشكلة في أنني أود قضاء الميلاد مع ابنتي».

اخبرته ليغ ببرود: «ليس هناك مشكلة.. كنت سأقدر لك كثيراً أن تخبرني بذلك بدل أن يتم إخباري عبر ضيفتك أو صديقتك».

ونظرت إليه نظرة جليدية: «من تكون تحديداً على أيّ حال؟».

ـ لا أرى لذلك صلة بالموضوع.

ـ أما أنا فأرى أن هناك صلة. هل تخططان لتأسيس عائلة صغيرة عندما أتنحى عن الطريق؟

وتصلّب وجهه: «لا تكوني سخيفة».

لم تشأ أن تتجسس على حياته الخاصة ولكنها لم تطق البقاء صامتة فأردفت: «لست سخيفة وأظنني استحق اجابة. آيمي هي ابنة أختي وأنا لا أسأل بدافع الفضول بل من أجلها، لأن مصلحتها يجب أن تراعى».

وفكرت ليغ بانتقاد بأن فيونا لن تكون أماً صالحة لأنها تشبه العنكبوت الأسود.

وسمعته يقول: «فيونا هي ابنة أصدقاء والدي فقط.. كانت تقيم في باريس لمدة ثماني سنوات وعندما تمّ نقلها إلى لندن، اقترح علي والدها أن أسكنها معي إلى أن تجد مكاناً آخر للإقامة».

ـ ومنذ متى كان ذلك؟

تنهد بنفاد صبر: «وهل يهم ذلك... سبعة أشهر».

ـ سبعة أشهر ولم تتبدل الأوضاع؟ كم يبدو ذلك مناسباً لكما؟ لا أدري لما حشرتها في الدور السفلي مع ذلك.

وتابعت ليغ بطريقة مازوشيه وهي تشدّد على كل كلمة مدركة بأنها ستندم على انفعالها لاحقاً: «هناك حتماً، مكان إضافي لها في المنزل».

ـ أظن أن عليك وعلى مخيلتك الفائقة الخصوبة أن تأويا إلى الفراش.

فكرت بأنها قد تكرهه بسبب تلميحاته ولكنها لم تفعل. والأسوأ أنه بدا مستمتعاً بالأمر مما زاد جنونها لأن تسليته حوّلت ملاحظاته ضحكة طفولية.. اعتقدت أنه سيضحك من كلامها لأن لا نية لديه في إبداء ادنى اهتمام لما كانت تقوله ولا ينوي أبداً إفشاء تفاصيل حياته الخاصة؟ ولم يفعل؟.

قالت بتهذيب بارد: «أنا ومخيلتي الخصبة نود الحصول على إجابات عن تساؤلاتنا».

نهض قبل أن يتثاءب قائلاً: «اذهبي للسرير يا ليغ».

توقف وقال بصوت كسول ومترقب: «قبل أن اضُطر لحملك إلى هناك».

كان ذلك كافياً لتبتعد بسرعة وتغادر غرفة الجلوس غاضبة، فيما كانت عيناه تلاحقانها في الرواق. الله وحده يعلم ما كانت خططه لنفسه ولفيونا ولآيمي.. غير أنها ستنزل إلى الجحيم قبل أن تدعهما يستأثران بالمسألة.

***

٧ ـ مواجهة مرّة

أنجزت ترتيبات الميلاد وتقرّر أن يسافروا ثلاثتهم إلى منزل نيكولاس الريفي عشية الميلاد على أن يعودوا إلى لندن في اليوم الذي يلي فتح الهدايا. ليغ التي لم تكن متحمسة لتواجدها مع نيكولاس في مكان صغير مهما كان التوقيت قصيراً، أمضت عدة أيام محاولة التفكير في مخرج لانسحابها وفي النهاية، أفسدت آيمي عليها الخطة.

كانت تتفقد غرفة نوم ابنة اختها، ترتب الكتب والدمى فيما جلس نيكولاس على السرير وتحدث عن العرض المسرحي الذي أنجز في أقل من أربعين دقيقة بعد أسابيع من التمارين الجادة. عندها، سألها برتابة: «إذاً، أين تودين قضاء الميلاد يا آيمي؟».

نظرت آيمي إلى والدها مذهولة. لقد كانت مأخوذة بأدائها الذي اقتصر على لعب دور مخلوق فضائي في المسرحية، قالت حينها: «السنة الماضية، قضينا العيد مع والديّ صوفي».

قالت ليغ مشرقة وهي ترتب الكتب على الرفوف وتحدق في ظهر نيكولاس: «ألم يكن جميلاً، آيمز؟».

وأخبرها نيكولاس: «ولكنه كان السنة الفائتة. سيكون العيد هذه السنة مختلفاً قليلاً. سنكون ثلاثتنا، لأنني لا أتمنى قضاء الميلاد وحدي فربما ينساني بابا نويل كلياً إلا إذا استطعت إقناع فتاة في السابعة بالبقاء بصحبتي».

وتدخلت ليغ بسخرية من خلفه: «أنا واثقة من أنه لن يفعل أبداً شيئاً

مماثلاً بما أنك كنت صالحاً طوال السنة».

وتجاهل نيكولاس ملاحظتها.

أما آيمي فأشرت له بصدق: «لا أدري ما إذا كنت أؤمن بباپا نويل. أعني كيف بإمكانه أن يحلّق حول العالم في ليلة واحدة فقط؟ وهو ضخم جداً ليتسع في المدفأة. أليس كذلك؟».

التفت نيكولاس ونظر إلى ليغ بارتياب ثم قال عابساً في وجهها: «متأكد أن ليغ تملك الإجابة عن تساؤلاتك».

قالت ليغ باقتضاب: «إنه سحر».

وعبست آيمي: «لا!».

وواصلت رافعة التحدي وهي تفكّر في هدايا الميلاد: «ولكن قد يكون واقعاً بالطبع».

قال نيكولاس معيداً الحوار إلى متناول يده: «اعتقدت أنه يمكننا، نحن الثلاثة الحصول على عطلة قصيرة في الريف. لديّ بيت جميل في أوركشاير، محاطاً بالحقول كما لدي بضعة أحصنة. أقرّ بأنها عجوز قليلاً ولكنها ليست كبيرة على حمل راكب».

وهذا ما كانت عليه الامور.

لاحقاً، قالت ليغ وهما في المطبخ يناقشان تفاصيل رحلتهما إلى أوركشاير محملين بالهدايا: «الرشوة أيضاً وأيضاً».

ارتفع حاجبا نيكولاس الذي كان مستلقياً على كرسي، يحتسي فنجان قهوة، متسائلاً: «رشوة؟ عم تتكلمين بحق الله؟ بالكاد اخبرت آيمي بوجود بضعة أحصنة في المكان».

ـ تدرك كيف هي المسألة. كم تستطيع طفلة في السابعة من عمرها أن تقاوم إغراء ركوب جواد؟

ـ هل ركبت جواداً عندما كنت في السابعة؟

ـ لا ولكن الإغراء لم يكن متوافراً.

هز برأسه: «حسناً، أعتقد الآن أنه كان حجة مقنعة».

مدّ ساقيه على الكرسي أمامه وتأملته ليغ بنفور ثم قالت بحدة متكدّرة لأنها شعرت بأنها سيقت إلى أمر لم تكن ترغب فيه وقد خجلت من أنانيتها: «هذا غير لائق».

وحدجها بنظرة بدت أنها تقول: هذا بيتي رغم كل شيء. ثم استغرق في التفكير بالمسألة، وأزاح قدميه عن الكرسي قائلاً: «ليس هناك وقت كثير لتحضير حبش العيد والشجرة. أسبوع واحد فقط، في الواقع».

وابتسمت له ليغ بلطف: «أتعني أنك لا تملك حلاً سريعاً؟ لطالما اعتقدت بأن ذلك جزء من الخطة الرئيسية».

ـ سأتصل بآل دايليز مساءً وأطلب من «مارج» المجيء قبل أن نصل، لتهوئة الغرف.

وأحاط بيديه الفنجان وحدّق في الخزانة مفكراً: «نستطيع شراء كل ما يلزمنا من الطعام هناك وإذا ما أحضر جو شجرة إلى غرفة الرسم، يمكننا تزيينها فور وصولنا».

ونظرت ليغ إليه فيما كان يتحدث بصوت مرتفع، فأحست بشيء ينشب في داخلها. في أوقات كهذه، عندما لا يكونان متخاصمين، تشعر بشيء من الرضا، بنوع من السلام. لقد أمضت السنة الفائتة تسابق الزمن، تشق طريقها بين المشاكل وتبذل جهداً لئلا تنوء تحت ثقل متاعبها المالية. أما الآن فلقد أحست وهي تصغي إلى نيكولاس الذي تسلّم زمام الامور بنعمة الرخاء التام. ولكنها لن تدوم ففي لحظة، قد تدور الأسئلة في رأسها مجدداً ولكنها حالياً، كانت تشرب قهوتها، وهي تنظر إليه دون ريبة وتسأل بكسل: «ماذا فعلت في عيد الميلاد الماضي؟».

قال وقد بدا عنصر المفاجأة في صوته: «في العيد الفائت، كنت منغمساً في عملية ما وكنت أعمل بجد».

ـ يبدو ذلك ممتعاً.

ونظر إليها: «يا إلهي! تبدين كثيرة التهكم بالنسبة لسنك. أليس كذلك؟».

أصبح لون ليغ ورديّاً فقالت: «وماذا عن والديك؟».

ـ مسافران في جزر الكارايب. لقد بدا لي العمل أقل تعباً بكثير.

ـ وأين هما هذه السنة؟

ـ في منزلهما في جنوب فرنسا مع مجموعة من أصدقائهما.

اقترحت عليه مرغمة: «يمكنك الذهاب إلى هناك».

نظر إليها بمرح: «وأفوّت الفرصة للالتصاق بجلدك حتى النهاية؟ إلى جانب ذلك، لم أقضِ الميلاد بصحبة طفلة منذ... لم أعد أذكر منذ متى».

نهض وتمطّى قائلاً: «كفى كلاماً عن الذكريات الجياشة. لدي جبل من العمل للقيام به قبل أن نغادر واليوم هو الوقت المناسب للبدء به».

أحسّت ليغ بطعنة من الخيبة لمجرد التفكير بأنها ستُترك في المطبخ وحدها. كان المكان دافئاً وحميماً والرياح تعصف في الخارج ضاربة بزجاج النوافذ.

لم تعرف يوماً ما يعنيه وجود عائلة فجينفر كانت دائماً الشخص الوحيد الذي وفر لها البيت والدفء. ولكن خطر في بالها أن لديها الآن ما تقوله عن الحياة العائلية. وشرد تفكيرها إلى الوقت الذي لن يعود وجودها مرحباً فيه في هذا البيت، عندما يعلن نيكولاس نفسه والداً لآيمي ويأخذ دوره كسند لها. عندما تُسدل الستارة ويحين وقت الرحيل... وحاولت ليغ تخيّل الحرية التي ستنعم بها في القيام بما ترغب فيه تحديداً ووجدت نفسها عاجزة. كان يقف مباشرة قربها، يتنفس في أذنها قائلاً: «أفيقي».

فقفزت وقالت بتوتر: «ظننت أنك ستذهب للقيام ببعض الأعمال».

لقد حطّم إحساسها الهش بالطمأنينة.

ـ سأفعل ولكنه سيُنجز سريعاً لو كان لدي أحد لطباعة ما أمليه عليه.

ـ في تلك الحالة، أنا واثقة من أنك لن تجد صعوبة في إحضار إحدى سكرتيراتك. لعلهن على أهبة الاستعداد قرب الهاتف بانتظار اتصال مماثل ليهرعن إليك.

وانسلت من مقعد المطبخ، حريصةً على تجنُّب الاحتكاك به وبدأت غسل أواني المطبخ.

فقال وهو يندفع باتجاه المجلى محدّقاً فيها: «سأنتظرك بعد نصف ساعة، فقليل من الطباعة، قد يساعد».

وأخبرته ليغ وهي تقفل الحنفية وتنزع قفازيها: «أمقت الطباعة».

ـ ولكنني واثق من براعتك فيها.

ومنحها إحدى ابتساماته الساحرة واللاذعة: «سنختصر الكثير من الوقت، تعلمين. سنكون قادرين على الرحيل باكراً للبدء بعشية الميلاد واستباق الازدحام. عندها، نصل في الوقت المحدّد لتزيين الشجرة. وهذا أفضل بكثير من الوصول في الظلام مع آيمي وقد غلبها النعاس وباتت عاجزة عن إبقاء عينيها مفتوحتين في المقعد الخلفي».

سألت ليغ ببطء: «آه، فهمت. إذا لم أجلس وألعب دور السكرتيرة، فسيقع الذنب علي لأن عشية الميلاد ستتحول إلى كارثة».

وهز نيكولاس كتفيه من دون أن يستجيب لملاحظتها: «حسناً، هذا عائد لك. لن أجبرك على القيام بذلك ولا أريد بكل تأكيد أن أتهم باستغلال دورك كحاضنة هنا».

ونظرت ليغ إليه بسخط فصاحت: «جيد. تذهلني موهبتك في الرشوة وماذا بعد».

طالبته وهي تتبعه خارج المطبخ باتجاه المكتب في آخر المنزل: «إذا لم أطهُ غداء الميلاد هل سأعتبر متهمة وأودع خارجاً أو أُنقل إلى العلية خارج مقاطعتك؟».

وسمعته يصفر بصوت منخفض، مسروراً وهو يشق طريقه.

قال نيكولاس برقة وهو يُجلسها على الكرسي الجلدي أمام المكتب ويدير جهاز الكمبيوتر: «والآن، سنعمل نصف ساعة في الغالب. أوقفيني إذا لم تفهمي شيئاً وإذا ما أسرعت كثيراً».

وسحب كرسياً آخر قريباً منها، ثم فتح حقيبته وأخرج منها رزمة

أوراق عملية. تمتمت ليغ محدّقة في الشاشة التي كانت تترقب تدخلها: «إنها سخافة!».

بإلحاح من شقيقتها، خضعت لستة أشهر من التدريب إثر مغادرة المدرسة ولكن الجلوس في بقعة واحدة لطبع كلمات لآخرين كان شكلاً من العذاب بالنسبة لها. قالت ليغ: «يستحيل أن يُدرج ذلك ضمن واجباتي. وأنا لن أساعدك مجدداً».

قال مناولاً إياها ورقة مكتوبة بخطه الأسود القوي: «يمكنك المباشرة بهذه الرسالة. أحتاج إلى ثلاث نسخ، ويمكنك استعمال آلة الفاكس لنسخها».

حملقت ليغ مشدوهة وبدأت الطبع فيما راح نيكولاس قربها يخربش ويصحح ويجري اتصالات متكلماً باقتضاب.

عملا بجد ونشاط معاً لدهشتها مع أنها توقعت بأن توقيت نصف الساعة كان تفاؤلاً.

عندما باشر الإملاء عليها، متجوّلاً في الغرفة بلا توقف كما لو أن الحركة تزيد من قدرته على التفكير، أوقفت الطباعة وانتظرت حتى أنهى جملته وعندها قالت بصوتها المهني: «بعض كلماتك هذه خاطئة».

وعبس في وجهها: «فتاة جيدة! إذاً يمكنك تصحيحها».

ورفضت الانصياع لمزاجه فأضافت: «وقد تعدت الحادية عشرة. خلتك أخبرتني بأننا سننهي العمل في غضون نصف ساعة على الأكثر».

ـ سوء تقدير.

ـ أشعر بالأسى على أيّ امرأة يقودها سوء طالعها للعمل معك.

ـ إنهن يعشقن ذلك.. قد أوتر أعصابك أحياناً ولكن...

وتحرّك بسرعة إلى حيث كانت تجلس، وانحنى قائلاً برقة: «أنا عجينة طيعّة يسهل العمل معها».

وضحك بصوت عالٍ فتراجعت وحدجته بنظرة صفراوية قائلة: «وأنا قادمة من كوكب مارس!».

ـ أشك في أنهم جذابون بقدر جاذبيتك في مارس.

وأخبرها نيكولاس بذلك وهو يستقيم. كان هناك شيء ما في صوته، نبرة عميقة جعلت بشرتها تتخدر. وبما أنها فكرت فيه الآن، وجدت وضعهما حميماً جداً في هذا المكتب الصغير. كانت غرفة صغيرة مؤثثة بالاسود ومكدّسة برفوف من الكتب. ولم يكن نيكولاس قد أضاء إلا مصباحاً واحداً.

إلى جانب ذلك الكمبيوتر المضيء، ذو الشاشة اللامعة، كانت الإنارة في الغرفة ضئيلة.

نهضت متمطية وقد أحست فجأة بالتوتر وبالتوق للخروج: «حسناً، ليس صعباً جداً أن أبدو أكثر جاذبية من مخلوق فضائي صغير، أخضر اللون، مزوّد بجهاز إرسال».

ونظرت إلى ساعتها مضيفة: «بأية حال، نحن هنا منذ ما يقارب الساعتين وأظن بأن الوقت حان للذهاب إلى الفراش».

همت بالتقدُّم نحو الباب فقال دون أن ينظر إليها: «لم لا نأخذ استراحة؟».

ونظر إليها من خلال الضوء الشاحب فأدركت فجأة وجوده فلعقت شفتيها بترقب.

وفيما كانت تقف هناك، متردِّدة، حائرة قال: «لا تبدين متحمسة لصحبتي».

ـ أنا متعبة قليلاً، هذا كل شيء.

ـ متعبة أم متوترة؟

قالت بحزم: «متعبة ولكن أظن أن بإمكاني احتساء شراب ساخن».

لقد حشرت نفسها مجدداً كما حسبت. جعلها تشعر بطريقة ما أنَّ رفض عرضه المهذب سيكون دليلاً على افتقارها إلى النضوج.

عندما سألها ماذا تفضل أن تشرب شاياً أم قهوة؟ قالت: «قهوة».

وما إن عاد من المطبخ حاملاً القهوة، حتى استقرت في كرسيها

وأخذت ترتشف فنجانها وهي تضع ساقيها تحتها.

أمضيا بضع دقائق يتحدثان في شتى الأمور من دون التركيز على شيء معين ثم قال بصوت مرح: «أنت ماهرة في ذلك؟».

ـ فيمَ؟

ـ في أعمال السكرتاريا، والطباعة، فأنت تفكرين بسرعة. لقد عانيت الأمرّين من الكاتبات اللواتي وجدن صعوبة في الاعتياد على اللغة المختزلة التي أكتبها لهن للطباعة.

وضحك بتقدير: «ربما يصفن ذلك بالجحيم عندما يقرأن خط أرباب عملهن الذين يدوِّنون ما يتوقعون طباعته بطريقة غير منتظمة».

أحسّت بالدفء يسري مجدداً في أوصالها وسمعته يضيف: «لا أظنك ستعيدين النظر في تولي مهام السكرتاريا في بعض الأمسيات. سأزيد لك راتبك طبعاً».

ارتشفت جرعة أخرى من قهوتها وأغلقت عينيها بشكل نصفي حين أجابت: «مستحيل لأنني سأكون متعبة في آخر النهار.. أنت لا تنجح في إقحامي منذ البداية إلاّ عبر استغلال آيمي كغطاء».

ـ أنت يافعة جداً لتشعري بالإرهاق في الأمسيات. ينبغي أن تكوني خارجاً، في السهرات والحفلات.

قالت لبغ: «سأنتظر حتى أصبح أكبر لأقوم بذلك».

كانت متعبة جداً للشعور بالإهانة بسبب ما قاله فقالت: «في الوقت الحاضر، سأستسلم لإرهاقي».

لم يفه بكلمة لفترة وعندما نظرت إليه، كان يدير فنجانه بين يديه ليقول أخيراً: «لم ألاحظ أي حياة اجتماعية ناشطة في هذا المنزل. لا أريد منك أن تشعري بأنك مقيّدة لأنه ليس منزلك».

ـ جيد.

ـ أعني، لم أرَ رجالاً. لا بد أنك تعافيت من انفصالك عن ذاك الذي كنت تخرجين معه.

ـ لا شأن لك بهذا.

لقد كان ذلك حجتها للرحيل والعودة إلى سكينة غرفة نومها.. ستنهي فنجانها وترحل.. قررت ليغ بأنها لن تسمح له بأن يملي عليها تصرّفاتها. سأل نيكولاس: «هل تعافيت؟ أحياناً ينفعنا الكلام عن تلك الأمور».

فتحت ليغ عينيها ونظرت إليه نظرة طويلة صلبة وساحرة وقالت: «وأنت تقترح أن تكون الأذن المصغية. أهذا هو الأمر؟».

ـ شيء من هذا القبيل.

وضعت فنجانها بحذر على الطاولة في جوارها ووقفت على قدميها: «شكراً ولكن لا، أشكرك. أظن أنني سأتوجه إلى فوق، قبل أن أغفو هنا».

نهض كذلك وتحرّك ليقف أمامها فاضطرت للنظر إليه بتعبير ملؤه التهذيب والدهشة. تساءلت ليغ، وماذا الآن؟ لم يكن وجهه غاضباً بالتحديد ولكنه متوهج قليلاً.

ـ لمَ تتراجعين في اللحظة التي أذكر فيها حياتك الخاصة؟

أخبرته ليغ مذهولة من ردة فعله المبالغ فيها لامتناعها عن الرد: «أنا لا أتراجع ولكنني أفضّل إبقاء حياتي الشخصية لنفسي».

ـ أفترض بأنه كان صعباً عليك... بوجود آيمي.

ـ أفترض، كما قلت، بأن لا شأن لك بذلك.

ـ أما زلت تحبين هذا الرجل؟

تحب مايك؟ كانت الفكرة كافية لتنفجر بالضحك ولكنها شعرت بأن ردة فعلها هذه، لن تلاقي ترحيباً. ربما كان يشعر فعلاً أنه قادر على المساعدة بطريقة ما.

مسكينة ليغ، فهي تفتقر إلى النضج وهي ساذجة جداً إلى حد أنها لا تعرف كيف تتعامل مع الجنس الآخر. إذا كانت النساء في حياته على مثال فيونا، فإنها تستطيع تفهم كيف خلص إلى استنتاجه. إنه يظن أن النساء المعقدات والمجرّبات يستطعن حماية أنفسهن أما مثيلاتها من النساء

الضعيفات المفتقرات إلى الخبرة فهن أضعف من الدخول في لعبة الحب. ربما يظن أن مايك حطمّ قلبها ثم رحل بعيداً.

سألته ليغ: «ماذا لو كنت؟ ماذا لو كنت آوي إلى الفراش في الليل وأنا أتعذب شوقاً إلى حبيبي السابق؟ هل ستكون قادراً على ابتكار علاج لدائي؟».

ـ كنت سأخبرك بأنك مجنونة لاستمرارك في حب شخص تخلّى عنك يوماً.

ـ حسناً. بعد تلك الملاحظة الحكيمة، أظنني سأستودعك.. عمت مساءً.

انتظرت منه أن يتنحى جانباً لذا عقدت ذراعيها وأطلقت تنهيدة طويلة متعبة وقالت: «لا، لم أعد أحب مايك ولا أي شخص آخر. أخرج مع أصدقائي أحياناً خلال النهار حيث نلتقي للغداء أو لشرب القهوة في الحديقة. أظن أنني مضجرة قليلاً وأكره الحياة الصاخبة. هل أنت راضٍ؟».

فعلّق قائلاً: «لا داعي للمشاجرة لأنني عرضت عليك نصيحة ببساطة».

ـ توقّف فقط عن التفكير في أنه يمكنك التدخل في حياتي! أنت والد آيمي وقد اجتمع شملنا بفضل انعطاف غريب للقدر. ولكن هذا كل شيء.

ـ تقيمين تحت سقفي وأنت تمتين بصلة لابنتي التي لم يسبق لي معرفة وجودها. ألا يُعتبر مستغرباً ألا أتدخل أبداً في شؤونك؟

ـ إنه غريب ولكنه غير مستحب.

ونقرت بأصابعها على ذراعيها، عندها أنزل ذراعيها نحو الأسفل من الجانبين وسمّرهما هناك.

ـ كفي عن التظاهر بالملل والانزعاج!

ردة فعله القوية حبست أنفاسها. حدّقت فيه بارتباك وهي فاغرة فاها ثم قالت: «أي حقوق لك لتملي عليّ كيف أتصرف؟».

www.elromancia.com

همس: «ليس لدي أي حق أبداً».

التقط وجهها فجأة بين يديه فاشتعلت شرارة ذعر في قلبها.

لم تشأ أن يعانقها فالمرة السابقة، كانت غلطة. وهذه المرة، لن ترتكب الغلطة ذاتها. كانت تريده أن يدعها وشأنها وأن يبتعد عن طريقها لكي تتمكن من الصعود إلى سريرها الدافىء والآمن. لم تشأ أن يلمسها فهي لا تحتاج إلى تزايد إفراز الأدرينالين المرعب في معدتها.

وسحقها عناقه بشوق أخرس منعها من الاحتجاج. استمّر عقلها يحذّرها بأن عليها أن تبعده ولكن عناقه رق وتحوّلت كلمات الغضب والسخط مما كان يفعله إلى تأوه ناعم لذيذ.

حاربت وناضلت حتى اضطر أخيراً لتحرير ذراعيها. أما يداها اللتان كانت ستبعدانه عنها، فأصبحتا معقودتين حول عنقه تدفعانه صوبها.

كانت مشاعرها من القوة بحيث أحست أنها حملتها معها طيلة حياتها.

في ظلّ هذه الغرفة اتحدّ قلباهما وأنفاسهما. وكانت ليغ تشعر بمشاعر لم يسبق لها أن شعرت بها.

كان ذلك كله جنوناً مطبقاً ولكن الرغبات تحل أحياناً محل التعقل... كانت روحها ترقص بين جنبيها فرحاً وشوقاً... وكان عناقه يزداد شغفاً وحباً.. وعندما ابتعد عنها نظرت إليه فوجدت في عينيه شيئاً بدائياً فظلت تحدق فيه مسحورة... شعرت بأن شيئاً ما حدث... شيئاً يفوق هذا العناق ولكنها لم تستطع تحديده.

كان السؤال يسكن أعماق أفكارها غير أنه لم يكن شفافاً لتحديده. لقد دبت الحياة في جسدها، وأرعبتها المشاعر التي لم تعتقد يوماً بوجودها.

عانقها بتوق وكسل فأحست بأن الوقت أبطأ سيره كما لو أنهما يعيشان حلماً.

ولكنها كانت تعلم أنّ عليها الخروج حالاً... قبل أن تفقد السيطرة

على نفسها. وعندما رآها تسرع إلى الباب سألها: «ماذا تفعلين؟».

واعتملت مشاعر متناقضة في داخلها بسرعة فائقة فلم تستطع إخمادها.

ـ إنني متعبة، علي الذهاب إلى غرفتي.

ـ ألا تشعرين بتحسن؟

قطبت جبينها، هل تصوّر أن ذاك العناق بمثابة علاج؟ لقد عرض نفسه كتفاً تبكي عليه لأنه اعتقد بأن تلك الطفلة المسكينة، البسيطة ما زالت تعاني من آثار حب جارح. هل كان عناقه بمثابة إحسان تجاه خالة ابنته المسكينة؟

لقد تعقدت المسائل الآن واكتشفت أن الامور قد تتطور بينهما بسرعة فائقة فتجمدت. اقترب منها وانحنى ليعانقها من جديد واحست بأنها غبية تماماً لأنها سمحت له بمعانقتها.

ولكن ماذا عن فيونا؟ لم يقل قط إنهما كانا حبيبين كما لم ينكر أنه متورط مع المرأة الأخرى؟

وأنبأتها غريزتها بأن تندب مشاعرها الجريحة أمامه ولكنها أدركت بأن ذلك يجب أن يبقى خفياً أيضاً، فدورها في منزله كان متمماً على أفضل وجه. سأل نيكولاس بحدة وقد أحس بتبدل مزاجها: «ما الأمر؟».

تراجعت إلى الوراء ونظرت نحوه: «لا شيء. أدرك أن ما حدث كان غلطة».

ـ لماذا؟

رمشت عيناه فيما كانتا تتأملانها وتغوصان في أعماقها.. أحست به يحاول إدراك ما يدور في رأسها فخافت عندما تذكرت بأنه يستطيع قراءة أفكارها ككتاب مفتوح. قال: «ماذا تعنين غلطة؟».

لو لم تكن تعرفه جيداً لحسبت أن نظرته تضمنت غضباً وتوتراً صادقاً.

ـ أعني أنّ علينا ألا نكرر هذا العناق الذي قد يجر إلى أمور أخرى.

www.elromancia.com

أنت تردد لي باستمرار أنني طفلة ولكنني لست كذلك وأنا ناضجة كفاية لمعرفة أن تقربك مني أمر سخيف. . أنا خالة ابنتك وأنا موجودة للقيام بعملي.

سألها وقد تصلّب وجهه وكأنه مجروح: «لِمَ تهربين مني؟».

ضحكت بإذعان ولكنها استطاعت سماع رنة التعاسة في صوتها: «أنا لا أهرب منك ولكنني أظن فقط أن علينا ألا ننحرف من أجل مصلحة آيمي».

ـ وما دخل آيمي بالموضوع؟

ـ لا نية لدي في البدء بمشاحنة أو بعلاقة معك. أنا لا أبحث عن علاقة ولا أظنك تريد ذلك.

وأضافت ليغ في سرّها خاصة أن لديك علاقة مع فيونا. . وارتدت على عقبيها وهمت بالتوجه نحو الباب: «لا أريد تعقيد الامور».

أدركها وأحاط ذراعها بأصابعه وتكلم بحدة: «تنطقين بالتفاهات».

قالت ليغ: «أقول لك إنني موجودة هنا كحاضنة لآيمي، ولا أنوي أن أتخطى حدودي معك كما لا أظنك تود ذلك».

ـ لا تملي علي ما أفكر.

ـ أنا لا أفعل ولكن دعني وشأني اعتباراً من الآن.

لم تجرؤ على النظر خلفها وهي تغادر الغرفة ولم تشأ أن يقرأ التعبير على وجهها، كما لم تشأ التورط في ما سيعرّضها لأعظم خطر على الإطلاق.

***

٨ ـ الدفاعات حين تنهار

في اليوم التالي، أخبر نيكولاس ليغ خلال تناولهما القهوة في المطبخ، أنه سيتغيب لبضعة أيام وتذرّع بالأعمال.

تساءلت ما إذا كانت تتخيل فظاظة وراء كلامه أو ما إذا كانت بالغة الحساسية ببساطة تجاه الفوارق الطبقية بينهما.

كانت الأفكار تتقاذفها. . ترى هل سألها أن تطبع له لأنه كان يشعر بالذنب لأن دورها غير ضروري. . . ربما أحس أنها ستشعر بجدواها تحت سقفه إذا ما ظنت بأنها تساهم في شيء مفيد أكثر. هل كان ذلك السبب؟

هل ظن بأنها ستقبل عرضه اللطيف للقيام ببعض العمل الموسمي، لأن كليهما يعلم أن تقرير مصير ابنته سيصبح بين يديه لا محالة؟ أو أنه ندم على الراتب الضخم الذي وافق أساساً على دفعه لها. إنه يحتاجها الآن، ولكن سيتغير الوضع مع مرور الأيام. ربما أحس بأنه قادر على الاستفادة منها بطريقة ما عبر قيامها بعمل لأجله.

صحيح أنه عرض بصراحة رفع راتبها إذا ما قبلت عرضه، ولكنه كان يعلم بلا شك بأنها سترفض ذلك. . كان أجرها محترماً لعمل تستمتع بالقيام به ومستعدة لفعله مجاناً. هل ذلك هو السبب؟ هل هو كذلك؟

أمضت ساعات مستلقية على فراشها تفكر في المشكلة إلى أن أطبقت عينيها أخيراً بعدما تجاوزت الساعة الرابعة والنصف بقليل ثم استفاقت في السابعة صباحاً متورمة العينين.

توقفت آيمي عن تناول التوست وسألته بصوت قلق: «ولكنك ستعود

قبل عشية الميلاد، أليس كذلك؟».

ولانَ صوته: «طبعاً، سأفعل».

أحست ليغ بطعنة من الغيرة السخيفة مصحوبة بذهول في رد فعلها، فسألته من دون أن تستطيع مقابلة عينيه: «وأين ستذهب؟».

وقف أمام مجلى المطبخ، محتسياً فنجان القهوة وهو في كامل أناقته العملية فقد كان يرتدي طقماً رمادياً.

ـ نيويورك.

توقفت آيمي كلياً عن الطعام واتسعت عيناها ثم قالت مذهولة: «واوا!».

ابتسم لها فقالت له: «هل ستحضر لي شيئاً؟».

ـ آيمي!

وصاحت ليغ بصوت حاد ومحذر. ألم يكن ذلك مؤشراً واضحاً على عمق العلاقة التي تطوّرت بين الأب وابنته في الأسابيع الماضية؟ تذكرت الشك المريب الذي استقبلت به آيمي خبر حضوره إلى ذلك المطعم في جادة الحديقة. والآن، ها هي تطلب منه إحضار هدية لها... لقد احتل نيكولاس مكانة الوالد.

سألها بعبوس واهتمام: «وماذا عن بابا نويل؟ لا أريد أن أبعده عن الموضوع».

تابعت آيمي وضع التوست: «آه أجل، هذا صحيح. لقد بات الميلاد وشيكاً لذا لا يمكن طلب هدايا إضافية».

إلا إنها أردفت بتملّق: «يمكنك دائماً أن تحضر لي هدية من نيويورك».

ـ مثل ماذا؟

وفكرت ليغ بأن نيكولاس لم يرمقها بنظرة واحدة حتى الآن. لم يبدُ أنه يحاول تجاهلها أو أنه غير مبال بها ولكن الوضع مؤلم رغم علمها بأنها لن تأمل أن يجيب بإسهاب بعد ما حصل بينهما.

اقترحت آيمي: «لعبة كمبيوتر أو ثياباً؟».

وقالت ليغ بلطف لقريبتها: «سيكون نيكولاس منهمكاً في العمل. لا أظن أن الوقت سيتسنى له للتبضع».

نظر إليها عندما قالت ذلك ببرود استوحت منه الكثير ثم قال وهو مستمر في النظر إليها:

ـ لمَ لا تذهبين فتكتبي لي لائحة يا آيمي؟ ولكن أسرعي. سأغادر في غضون نصف ساعة إلى المطار.

وانطلقت آيمي من المطبخ وسرعان ما غابت عن الأنظار. وعندئذٍ قال بصوت قاسٍ: «لا تقولي لي ما علي فعله أو عدم فعله؟».

واجهته ليغ بالمثل: «لم أكن أخبرها بأنك لن تستطيع شراء هدية لها بل كنت أحاول فقط وضعها في الصورة إن لم تستطع الالتزام بشيء قد لا يتسنى لك فعله».

ـ لطيف منك أن تفكري في ذلك.

وأحست بالدموع تترقرق في عينيها ولكنها حصرت تفكيرها في شرب المزيد من القهوة وقالت: «أجل، أعتقد ذلك».

بدا الوضع سخيفاً إلا إنها أدركت الآن بأنها باتت معتادة على البرودة بينهما. صحيح أن التوتر لم يكن غائباً كلياً ولكنه عندما ابتسم وسلّط سحره عليها، أجبرها على الضحك أكثر مما اعتزمت فأخذت نفساً عميقاً وقالت رغم تصميمها على عدم التفوّه بأية كلمة: «أعلم أنك غاضب مني بسبب مساء أمس...».

مع أنها كانت قد عقدت العزم مساء امس على عدم الاشارة إلى تلك الحادثة مجدداً ولكن ذلك فاق إرادتها. أما نيكولاس فضحك باقتضاب وبرود قائلاً: «غاضب؟! أنت تطرين نفسك. لم عليّ أن أكون غاضباً منك؟».

هزت برأسها وتأملت بيأس السائل في فنجانها.. في هذا الوقت عبر نيكولاس الغرفة بسرعة واتخذ له كرسياً بجانبها فرأت بطرف عينيها يده على الطاولة فأحست برعشة توتر. وقال لها: «لا تتفوهي بجمل كهذه يا

ليغ، إلا إذا كنت مستعدة لدعمها بالبراهين؟».

ـ حسناً، لست غاضباً.

وبدت لها تلك الجملة أسهل طريقة لتجنب مواجهته ولكن صوتها المهذّب أثار حفيظته أكثر فاستدركت: «لم أفتح الموضوع».

أخبرها بحدة: «بل، فعلتِ. لذا، لا تظني أنك تستطيعين الآن الابتعاد عن الموضوع».

ـ أنت غاضب لأن الامور لم تجرِ على طريقتك.

ونظرت إلى وجهه ثم أشاحت بنظرها مجدداً إلى السائل البني الذي بات الآن بارداً.

أعلن نيكولاس بدوره: «لا أعلم ما تريدين، أو ماذا تتوقعين».

وأحست بمعنوياتها تهبط قليلاً. لم تشأ افتراض ما كان يتوقع أن يحصل ولكنها كانت مرغمة على الدفاع عن تصرفها الذي قامت به وودّت لو تضرب نفسها لفتح المسألة أساساً: «آسفة لأني غير مهتمة بإقامة علاقة معك».

ثم أضافت بعجلة لئلا يفهم الوضع بشكل خاطىء: «لا أريد أن أكون فتاة تحت الطلب».

والتوى فمه بتعبير ساخر يشبه ابتسامة: «لأنك لست من هذا النوع من الفتيات؟».

همست ليغ غاضبة: «هذا صحيح!».

ـ أنت من النوع الشريف، المرتب والعائلي الذي لا يحلم بإقامة علاقة مع أحدهم إذا لم تكن مثمرة في نهايتها.

ـ لم أقل ذلك.

ـ هل كان هذا سبب فشل علاقتكما أنت وصديقك بغض النظر عن عجزه عن تحمل المسؤولية. هل خيّرته بين الزواج أو الرحيل؟

ـ لم أقم بشيء كهذا كما أنه ليس لديّ أي فكرة عن علاقة ذلك بنا نحن.

ـ ربما لا شيء ليغ، وربما كل شيء. تحيّرني امرأة تتجاوب مع عناقي

ثم تقول إن ذلك غلطة رهيبة.

أكملت ليغ منتقدة في سرها: (يثيرني رجل يستطيع أن يحب امرأة لأنه يشفق عليها بغض النظر عن جاذبيتها الجسدية. لقد افترضت أنه كان شغوفاً بها في حينه أو أنه ربما اكتفى بقبول ما عُرِض بوضوح عليه).

قالت بلهجة الدفاع عن النفس: «لقد عدتَ إلى رشدي».

ـ وما الذي جعلك تفقدينه في البداية؟

حدّقت فيه عاجزة عن الرد على تلك الملاحظة، ولم يخلصها من الرد إلا مجيء آيمي إلى المطبخ حاملة ورقة كتبَت عليها ما تريده بخطها الطفولي الذي يكاد لا يكون مفهوماً.

قالت آيمي وهي تسلّم نيكولاس الورقة التي تمكنت ليغ من قراءتها مقلوبة: «إنها بضعة أشياء»

كانت الكلمات مدوّنة بين هلالين ومصحوبة بتفسيرات مسهبة عما عنته بدقة..

ـ حسناً.

قال نيكولاس بجد وهو ينهض ليرتدي سترته التي كانت ممددة على طاولة المطبخ: «سأرى ما يمكنني فعله. علي أن استشير بابا نويل للتأكد من أننا لن نشتري الهدايا مزدوجة».

فقالت آيمي عابسة: «طبعاً مع أنني لم أدرِ أن لديه رقماً هاتفياً».

ونهضت ليغ أيضاً وعقدت ذراعيها وأعلنت: «هل ستبقى على اتصال بنا؟».

حدجها بنظرة غامضة، جافة ثم دوّن اسم الفندق ورقم هاتف على قطعة من ورق قائلاً: «سأتركها هنا؟».

انحنى وطبع قبلة على رأس ابنته ثم عبث بشعرها ضاحكاً، وبعد ذلك توجه إليها بالكلام: «أراك في غضون يومين. أكسني التصرّ ط».

ـ كنا دائماً طيبة.

وداعبها بمحبة فأدركت ليغ أنه تجاهلها كلياً: «وخصوصاً قبل

www.elromancia.com

الميلاد».

بدا المنزل فارغاً فور رحيله. خرجا ليقوما بالتبضع قليلاً للميلاد ولكن ليغ لم تكن متحمسة فعلاً لفكرة العودة إلى المنزل الفارغ. بقيت مرحة من أجل آيمي ولكن ذلك كان صعباً خاصة أن التسوق يعني شراء هدايا لنيكولاس.. والواقع أن آيمي انتقت له هدية ثقيلة وهي عبارة عن كتاب وعن ربطة عنق حمراء مزدانة برسوم لميكي ماوس.

قالت ليغ وهي ترفع حاجبيها: «لا أستطيع رؤيته مرتدياً إياها».

ولكن ابنة اختها قالت إن ذلك ممتع وأجمل من تلك الأمور المملّة التي يرتديها في العمل.

وسألتها آيمي: «ماذا ستشترين له؟».

فكرت ليغ التي لم تكن قد أولت الفكرة عناية وتساءلت عما يمكنها شراؤه لرجل لا يملك شيئاً يقوله لها مهما يكن.

هزت رأسها وقالت: «كنزة على ما أعتقد».

ـ هل أستطيع انتقاءها؟

ـ ولمَ لا؟

وقد عنى ذلك أنه سينتهي بها الأمر إلى شراء كنزة تحمل رسوماً لعائلة من الدببة.

وتظاهرت بالسعادة في اليوم التالي وهما تلفّان الهدايا وتوزعانها إلى بعض أصدقائهما الذين بدوا وكأنهم ينتمون إلى حياة أخرى تماماً.

بدا لها وكأنها عرفت نيكولاس كندال طوال حياتها وكانت لتراهن بأن آيمي تشعر بنفس هذا الإحساس أيضاً. كيف يمكن لأحدهم أن يلتصق بجلدها بهذه السرعة؟

كانت متكورة في غرفة الجلوس مع كتبها تقرأ وتنجرف بتفكيرها إلى نيكولاس عندما سمعت أحداً يتقدم باتجاه الغرفة.

فكرت أولاً في نيكولاس فبدأ قلبها ينبض بسرعة. لم يكن يفترض به الوصول حتى المساء التالي ولكنه ربما أنجز ما ذهب إلى نيويورك للقيام به

ورجع باكراً.

بذلت مجهوداً لوضع قناع التهذيب على محياها وصرّت على أسنانها راسمة شبه ابتسامة عندما لمحت فيونا تقف على الباب. وغار قلبها، أحست بالخيبة وبالخطر لاضطرارها إلى التحدث مع هذه المرأة. كان تفاؤلاً منها أن تفكر في أنها تستطيع الاحتفال بالميلاد من دون رؤية فيونا على المسرح في مكان ما في الطريق.

قالت بلامبالاة: «أهلاً».

ألقت نظرة مطوّلة على كتابها وأغلقته. دخلت فيونا إلى الغرفة بثقة من تعوّد أن يسرق الأضواء من حوله بغض النظر عن الحضور الموجود. كانت ترتدي معطفاً من الفراء الثمين أو المزيف، وضعته على الكرسي ثم جلست شابكة ساقيها الطويلتين وأضافت ببرود: «كنت آمل أن أجدك».

سألتها ليغ بدافع إيجاد مخرج مؤقت لنفسها: «هل أحضّر لك شراباً ما؟».

أراحت فيونا ذراعيها على مسندي الكرسي قائلة: «سآخذ العصير.. أريد أن أبدو اجتماعية وأشرب ما تبرعت بتقديمه. ألا توافقينني الرأي؟».

كانت الملاحظة جافة فوقفت ليغ على قدميها رافضة أن تشعر بالإحباط. كانت تعاني بما فيه الكفاية من دون الاضطرار إلى تحمل الضغط.

سكبت لفيونا بعض العصير ثم سلمتها إياه عائدة إلى كرسيها وأعلنت: «والآن فيونا، أعتقد أنك لم تأتي لإجراء محادثة ودود عن العلقس وكلتانا تعلم أن نيكولاس مسافر. إذاً لِمَ لا تدخلين مباشرة في صلب الموضوع وتقولين ما عليك قوله؟».

أردفت فيونا مفكرة وهي تحتسي العصير: «تسمين الأشياء بأسمائها بمثل هذا الأسلوب المباشر. أراهن بأن اجدادك يتحدرون من مكان ما في الشمال».

لم تظن ليغ أن شجرة عائلتها دخلت في القائمة أيضاً. فلم تعلق على

تلك الملاحظة. قالت ليغ أخيراً: «لم أرك كثيراً مؤخراً. منهمكة في العمل؟».

إذا أرادت فيونا أن تراوغ فهي أيضاً تستطيع لعب تلك اللعبة أيضاً. أجابت فيونا ببرود: «كنت منهمكة حتى أذني وهذا ما ينطبق عليك أكثر مني.. لا بد أنك قد استقريت الآن. أليس كذلك؟».

ـ أجل، لطالما كان نيكولاس كريماً، سخياً جداً؟

ـ العبارة أقرب إلى تقرير واقع. لقد فهمت بأنه يدفع لك للاعتناء بقريبتك.

لم تفه ليغ بكلمة، ولم تكن مهتمة بالأسلوب الذي انتهجه الحوار، ولكنها كانت تجهل كيف تغيّر دفته. سألتها تلقائياً: «ما الذي ترمين إليه فيونا؟».

ـ أحاول أن أقول إنك منذ فترة كنت مفلسة ومعدمة وإذ بي أراك تتنعمين بالرفاهية وتستغلين كل دقيقة منها بلا شك.

ـ لم أسأل نيكولاس قط أن يأوينا. لقد تطوع وأنا لم يكن لدي خيار.

ـ أو أنك بالأحرى لم تحاولي التفتيش عن آخر.

ـ أنظري، أنا آسفة إذا كان وجودي هنا قد... أزعجك، مهما يكن ما تفعلانه أنت ونيكولاس.

ـ آه! أنا متأكدة من ذلك.

وارتشفت جرعة كبيرة أخرى من العصير، ثم أردفت قائلة: «لست آسفة أبداً».

ثم تابعت تقول وهي تقف:

ـ أنت استغلالية، أيتها الحاضنة الوديعة وأنا لا اعتزم أن تُفسد كل مخططاتي بسببك أنت.

ـ خطط؟ عن أي خطط تتحدثين؟

وعادت فيونا إلى كرسيها باتزانها الكامل وقد شكرت ليغ نفسها لرؤية ذلك. قالت بابتسامة ضيقة وصلبة: «تعود صداقة عائلتينا إلى زمن بعيد

ولا يبغي والدي شيئاً آخر عدا رؤيتنا متزوجين سعيدين. لمَ تعتقدين بحق الله أنني أعيش هنا؟».

تصوَّرت ليغ مشهد زفاف ضخم تكون فيه آيمي وصيفة شرف فيما هي تسترق النظر من وراء البوابة. بدأت تشعر بالعرق يتصبب منها فقالت: «أتخططان للزواج؟».

ـ كانت الامور تجري بشكل جيد حتى قدمت مع تلك الحثالة إلى حياتنا. لدي ونيكولاس قواسم مشتركة كثيرة، فنحن ننتمي إلى العالم نفسه يا عزيزتي. من أين تأتين أنت؟ ربما يكون سعيداً الآن بلعب دور الأب ولكن الجديد في ذلك سرعان ما يصبح قديماً وسيتعب منه.

ـ هل أخبرك عن علاقته بآيمي؟

قالت فيونا بإمعان: «لم يكن مضطراً لذلك، فالأمر يبدو واضحاً للعيان، وما عليك إلا النظر إليهما معاً لتري الشبه في الشكل بينهما. ثم لنواجه الموضوع، وإلا ما الذي دفعه إلى إيوائكما؟ اعلم أنها لسيت ابنتك. سمعتها تتوجه إليك بخالتي، لذا خيّل إليّ أنّ شقيقتك هي الام».

ـ اسمعي فيونا، أنا متعبه وأعلم أن ما تقولينه لن يقودنا إلى شيء.

ـ لن أرحل من هنا من دون معركة. هل تفهمين؟

ـ ترحلين؟

ـ هذا صحيح، وكأنك تجهلين. يشعر نيكولاس بأن الوقت قد حان لأجد مكاناً يناسبني. أستنتج من ذلك أن علاقة حميمة تربطكما وأظن أن من المناسب لكما أن تبعداني عن الطريق.

استقامت ليغ شاحبة الوجه: «لقد تخطيت حدودك».

ـ هل أنتما على علاقة؟

ـ لا، لسنا كذلك.

تساءلت ليغ بينها وبين نفسها... هل كان نيكولاس على علاقة مع فيونا في السابق؟ هل تخلّى عنها لاعتقاده بأن ليغ ستكون مسرورة باستكمال دور فيونا؟ ربما يهوى التغيير وفقاً لما قالته فيونا، لكنهما

www.elromancia.com

يتمتعان بالكثير من القواسم المشتركة، في حين ما الذي يجمع بين ليغ ونيكولاس؟ إنه رجل أعمال غني، طموح ومحب للحياة. وهي فنانة والثراء عندها عبارة عن ارتياد صالات السينما والمطاعم المتواضعة في جادة شايرد. عاشت شقيقتها وروي مرفهين ولكنهما لا يقارنان بما لدى نيكولاس كندال. لا، كانت فيونا مصيبة فهما من عالمين مختلفين، ولا بد أن يدور كل منهما في فلكه الخاص.

ـ حسناً، فكري مجدداً قبل أن تخطي أي خطوة يا عزيزتي. أنا واثقة من أن قريبتك الصغيرة لا تعلم حقيقة والدها وأنت لا تريدين أن تكتشف ذلك. حقاً؟ قد تكون صدمة حقيقية لها؟ وقد تدمر كل الثقة التي حاولتما أنتما الإثنان أن تزرعاها وتنمياها في داخلها؟

ووقفت فيونا ومسدت تنورتها القصيرة، السوداء والباهظة الثمن كما تبدو.

ـ قد أغادر هذا المنزل ولكنني لا أنوي أن أخرج من حياة نيكولاس، وصدقيني عندما أقول لك إنك لن تشكلي نداً لي.

وارتدت معطفها ومشت باتجاه الباب، ثم توقفت لتنظر إليها من فوق كتفها قائلة: «على فكرة، عيد ميلاد مجيد».

ثم غادرت المنزل. انتظرت ليغ حتى اختفى وقع أقدامها القوي، ثم توجهت إلى غرفتها وهي تفكر: حسناً، ماذا بعد؟

لقد حشت فيونا رأسها بتهديدات فكيف ستتمكن من التعايش معه وكيف ستقوم بهذه الرحلة إلى الريف وهي مضطرة هناك للتعامل مع نيكولاس بتهذيب بارد.

خلدت إلى النوم والصداع ينهكها واستفاقت في اليوم التالي وهي تشعر بنفس السوء الذي كانت عليه عندما أوت إلى الفراش.

كانت حماسة آيمي في أوجها مع أنها حاولت جاهدة أن تبدو لا مبالية.

نجحت ليغ في الانسحاب إلى الفراش قبل وصول نيكولاس مع أنها

عندما استفاقت في منتصف الليل، لم تستطع أن تمنع نفسها من الشعور بأن المنزل امتلأ بالحياة مجدداً.

كانت هناك إشارات تدل على قدومه عندما نزلت إلى الطابق السفلي في صباح اليوم التالي، كالجرائد الأميركية على طاولة المطبخ والعملة الجارية الملقاة بإهمال رزماً على إحدى الطاولات وربطة عنقه الملقاة على الكرسي حيث استنتجت أنه ألقاها وهو في الطريق إلى غرفته أمس مساءً. غير أن الرجل لم يظهر في أي مكان. لقد غادر باكراً إلى العمل.

في هذا الوقت من السنة الماضية، كان الميلاد مختلفاً بمجمله كما فكرت ليغ. إنه أول عيد لهما من دون روي وجيني.

اليوم، بدت آيمي طفلة مختلفة. ألقت ملاحظة غريبة وحزينة عن والدتها بضع مرات وقد وجدتها ليغ مرة تحدق متأملة من النافذة غير أن شرود نظراتها الذي كان جلياً في الماضي اختفى... لم تنسَ والديها ولكنها كانت تستعيد الإحساس بالتطلع إلى الأمام مجدداً. ولكن ماذا لو نفذت فيونا تهديدها وأخبرت آيمي عن نيكولاس؟

عندما رأته أخيراً في تلك الليلة إثر اصطدامها به.. بدا متعباً ولكنه أخفى ذلك ما إن وقعت عيناه على ابنته.

شاهدته ليغ بطرف عينها يتسامر مع آيمي وهو جالس على زاوية السرير الذي ناء تحت ثقله وراح يسمع جردة حساب آيمي التي كانت تروي له كيف أمضيا أيامهما الماضية.

تحوّلت آيمي لمرأى نيكولاس والسرور البادي في عينيه من طفلة جميلة إلى أخرى ساحرة. وبدا وجهها نابضاً بالحياة وقد التمعت عيناها، أما ضحكاتها التي كانت من قبل شحيحة، فباتت الآن معدية. وأدركت ليغ وهي تنظر إليهما معاً أن الامر كان يستحق العناء مهما خبأ لها القدر.

عندما أوت آيمي أخيراً إلى الفراش، توجهت ليغ في الاتجاه المعاكس لنيكولاس أي إلى الأستديو حيث كانت تعتزم قضاء بضع ساعات لتحاول استكمال اللوحة التي تعمل عليها منذ ثلاثة أسابيع غير

أنها سمعته يقول وراءها: «ليس بهذه السرعة يا ليغ. أريد أن أتكلم معك».

توقفت في مكانها واستدارت مكرهة. عم؟ حاولت أن تسأله ولكنها في المقابل، حاولت أن تبدو مرحبة وقالت: «طبعاً».

تبعته إلى أسفل السلالم مسرورة.

ـ نحتاج لتدبر أمر الهدايا.

ـ لقد غلّفنا هدايانا للتو.

ـ علينا وضعها في صندوق السيارة، فلن نجد فرصة لذلك في الصباح، ليس وآيمي تتجول في الأرجاء وتتدخل في كل شيء.

ـ حسناً.

وأحست بالفخر لرصانتها. لن يكتشف أحد أن مجرد رؤيته تطبح بصوابها.

استغرق إحضار ونقل الهدايا وقتاً أطول مما توقعت.

إلى جانب الهدايا الكثيرة التي أحضرها نيكولاس، اشترى دراجة لآيمي فتراجعت ليغ لرؤيتها وقالت عاقدة ذراعيها: «جميلة جداً. ستحملك هذه الهدايا إلى مكانة أرفع لديها».

ولم يبدُ على نيكولاس السرور، فقال في النهاية: «لا أملك فكرة عما تعودت عليه...».

ـ لم أكن أقصد انتقادك.

وفكرت في أنه قرر أن يبدأ مشاحنة جديدة معها. ولكنها قررت بألا تسمح لنفسها أو لأي من هذا أن يفسد العيد على آيمي.

ولجت من الباب المفتوح وكانت ترتجف وهي تنظر إلى نيكولاس يملأ الصندوق.

عندما أغلق باب المدخل وراءه بعدما أنجز كل العمل المطلوب. قالت مشرقة: «حسناً، لقد أنجزنا ذلك الآن. هل هناك شيء آخر؟».

وبدت كمحاورة لطيفة تأمل التخلص من مقابلة مضجرة. فاقترح

نيكولاس ويداه في جيبيه: «ما رأيك باحتساء القهوة؟».

لم يكن هذا ما توقعته. نعم للبرودة، نعم للبعد ولتبادل عبارات جافة وملاحظات جارحة، ولكنها لم تتوقع أن يظهر نحوها هذه اللباقة البعيدة عن الغرابة والارتباك. لقد تساءلت عما إذا توصل تقريباً إلى الاستنتاج بأن على أي خلافات بينهما أن توضع جانباً، حتى تنتهي عطلة الميلاد على الأقل.

قالت ليغ بلا مبالاة: «ولم لا؟».

باتت معتادة على العمل في مطبخه فما إن دخلاه حتى بدأت تحضر القهوة بصورة عفوية.. كانت القهوة أصلية وطازجة لأنه يحضرها مباشرة من المحمصة فلم يترك لها مجالاً للتفنن بها. قالت وقد صبت الماء الساخن في ابريق القهوة من دون أن تنظر إليه: «يمكنك إحضار الفناجين.. إنها في الخزانة تحت الفرن».

أضافت ذلك بعد أن فتح وأغلق عدة أبواب. لم تتفاجأ لجهله موقع معظم الأغراض التي يمتلكها.

كانت السيدة ما كبرايد تعد الطعام له في النهار وفي المساء كان يقضي أمسياته خارجاً في الغالب.

ناولها فنجانين فملأتهما بالقهوة. جلسا إلى طاولة المطبخ، يشربان ويتناقشان في مواقيت رحلتهما. سألته عن نيويورك وعما إذا أنجز مهمته... وكان حديثهما متمدناً، مغلفاً بعبارات التهذيب.

ستنهي فنجانها في غضون دقيقة وتعتذر ثم تذهب إلى الفراش.

وفي الصباح، ستكرر ما فعلته وهكذا بالنسبة للصباح الذي يليه والصباح التالي.. وستواظب على ذلك حتى يحين الوقت لتقول له وداعاً وترحل. مهما طال الزمان، سترحل بطريقة حضارية مشابهة. كان قلبها يخفق في داخلها فيما راحت أفكارها تتصارع بوحشية في رأسها. نظرت إليه متمعنة في محياه الأسمر الوسيم.

قالت وهي تنهض: «حسناً إذاً، أعتذر، فمن الأفضل لي أن اخلد

للنوم فعلي النهوض باكراً غداً... وفي كل الأحوال ستوقظني آيمي باكراً».

ومشت نحو المجلى وأفرغت محتويات فنجانها وغسلته. قال نيكولاس متكاسلاً: «كنت أفكر فيك».

تشنج جسمها كله فارتدت إليه ببطء عاقدة ذراعيها وقد اتكأت إلى المجلى.

ـ آه؟

مدد ساقيه واستمر في تحديقه فيها بإمعان وقد احنى رأسه جانبياً وكأنه لم يستمع إلى مغزى كلامها وتابع يقول: «أفكر في عناقنا الذي لا تستطيعين الادعاء بأنه لم يكن».

واتسعت عيناه فسحرتاها، لذا بدأت ليغ بالارتجاف: «لا ادعي شيئاً».

حاولت ليغ تصفية حنجرتها فالمسافة بينهما بدت لها ملايين من الأميال، أحست وكأن عليها أن تصرخ ليخرج صوتها فأردفت: «كانت غلطة».

ـ ولماذا؟

ـ الآن.

ـ هذا ليس جواباً. قلت إنك استعدت وعيك وبأنه كان خطأ رهيباً ولكنني أظنك خائفة.

ـ ولمَ أخاف؟

ـ تخافين مما تشعرين عندما ألمسك.

كيف باستطاعته قول ذلك فيما بدت نبرة صوته عادية؟ عندما سمعته، أحست بأنها تجردت من كل شيء تحت تأثير نظراته.

ـ أعتقد أنك تريدينني وتجدين ذلك مرعباً لدرجة أنك تودين الهروب والتظاهر بأنني غير موجود.

كان لديها جوابٌ شافٍ وقد أدركت ليغ ذلك ولكنها لم تستطع

استجماع شجاعتها وتشغيل أوتارها الصوتية. وقالت بصوت شبه مسموع: «أنا هنا كحاضنة. لا أريد أن أتطفل... آيمي.. على كلينا أن يعيد التفكير».

نهض بهدوء واقترب من المكان الذي كانت تتكأ فيه بصلابة على المجلى وقال: «لا علاقة لذلك بالمناقشة، لا يتعلق بموقعك ولا بصلتك بآيمي».

وأعقب كلامه وهو يقف مباشرة أمامها: «إنه يتعلق بشيء أساسي وبدائي أكثر من هذا».

نظرت إليه واليأس بادٍ في عينيها: «لماذا؟ لماذا تصرّ على استكماله؟ لماذا لا تستطيع أن تدعني فقط وشأني؟ هل لأنك تشعر بأنه يجب عليك أن تحصل على كل امرأة ترغبها؟ هل للأمر علاقة بكبريائك؟».

رفع يده وهو يمرر إصبعه على زاوية وجهها فأحست أن بشرتها تحترق: «لا علاقة للكبرياء بموضوعنا، كما أنني لا اقتحم حياتك مفترضاً بأنه يحق لي أن أغزو كل امرأة تعجبني. وأنا لست حيواناً متوحشاً زاحفاً لا أستطيع العيش من دون امرأة في فراشي».

وتأملته ليغ وقد انفرجت شفتاها واتسعت عيناها كظبية مذعورة.

همس: «الحقيقة المجردة هي أنني أريدك، لا هذا التعبير غير كافٍ، بل اتحرّق شوقاً إليك».

ورسم خط حنجرتها بيده وصل إلى عنقها. قال بصوت منخفض ومتشنج: «لم أكن لأقوم بذلك لولا اعتقادي بأنك تشعرين بنفس ما أشعر به. فإذا كان ما اعتقده خطأ فقولي ذلك ولن ألمسك مجدداً».

في تلك اللحظة وقد احست بكلماته تدور في الهواء، قررت ليغ ألا تحاربه بعد اليوم. ستدع القدر والوقت يقرران ولكن هذا الانجذاب كان قوياً ولا يعترف بالحواجز.. أغمضت عينيها ورفعت وجهها إليه ومالت بجسدها نحوه فعانقها بوحشيةً فبادلته عناقه باستسلام مطلق. وحده نيكولاس يحرّك قلبها.. أحاطت يداه خصرها ضامّاً إياها بشغف جعل

bookstoromancia.com

أمواج الدفء تدخل إلى كل مسام في جلدها. . لم يسمع أيّ منهما وقع اقدام أو الصرخة المكتومة. لقد كانا غافلين عما يدور حولهما وعندما فتحت ليغ عينيها، عندها فقط أدركت انهما لم يعودا وحدهما.

* * *

٩ ـ زائران من المجهول

تراجعت ليغ مصدومة لمرأى فيونا. حاولت يائسة تمالك نفسها قليلاً وهذا ما زاد من اضطرابها. ودخلت فيونا إلى المطبخ معلنة: «حسناً، حسناً، حسناً».

ارتدّ نيكولاس ونظر إليها، فانسحبت ليغ إلى الفرن رغبة منها في الابتعاد عنهما قدر المستطاع فوقفت هناك مرتجفة اليدين وقد أطبقتهما بحزم وراء ظهرها.

ـ أهلاً فيونا. . ماذا تفعلين هنا؟

قال نيكولاس ذلك ولاحت ابتسامة باردة على شفتيه. أما فيونا فلوحت بعلبة ملفوفة بطريقة جميلة ووضعتها بقوة على المجلى، كانت فيونا ترتدي جينزاً مفصلاً باتقان مع قميص ملون واسع وكنزة عاجية ملتصقة بسروالها. إنها المرة الأولى التي تراها ليغ مرتدية على هذا الشكل. لم يكن شعرها الأشقر مربوطاً إلى الوراء ولكنه كان منسدلاً كستارة سميكة مخملية على كتفيها. عقدت ذراعيها ومنحت ليغ نظرة جليدية ثم استدارت لتواجه نيكولاس قائلة: «كان علي أن أحزر أن هناك سبباً لرغبتك في إخراجي من المنزل بهذه السرعة».

ضاقت عينا نيكولاس ونظر إلى الشقراء ثم قال بهدوء: «أنت حرة في التفكير في ما يحلو لك، فيونا».

ولكن وجهه بدا صلباً بعكس صوته الذي بدا طبيعياً عندما تكلم. شعرت ليغ وهي واقفة هناك قرب الفرن بأنها مستبعدة كلياً عما يدور

www.elromancia.com

بينهما.

لقد كانت شاهداً لحادث لم تشأ حضوره. لو كان هناك طريقة ما للخروج من المطبخ، لسلكته غير أنها لم تجد وسيلة إلا التقدم مباشرة بينهما وكان هذا آخر ما تود القيام به.

وتقدّمت فيونا خطوة إلى الأمام قائلة: «كيف أمكنك! ظننت..».

ـ ماذا؟ ماذا كنت تعتقدين يا فيونا؟

سمعت ليغ كلامه وأحست برجفة لسبب ما وبحسد..

لم تجد سبيلاً إلى تصوّر ما يمكن أن يكون عليه الوضع عندما ينشأ المرء في جوار نيكولاس كندال.

لا شك أنه أمضى طفولته متجوّلاً في ممتلكات والديه الريفية، ممتطياً الحصان عندما يكون الطقس جميلاً أو متزلجاً في أيام الشتاء المشمسة برفقة والديه.

كيف كانت هي في مثل سنه؟ كانت طفولتها مستقرة وسعيدة ولكن كعكة ميلادها كانت محضرة في المنزل وكانت تقضي العطل في بريطانيا أما الثياب المدرسية فكانت كلها مستعارة.

كانت ليغ واثقة تماماً من أنهما أغفلا حضورها فتساءلت الآن عما إذا كانت تستطيع الاختباء ببساطة في المطبخ أو التسلل نحو الباب المؤدي إلى غرفة المؤونة والالتجاء إليها.

ـ ظننت عندما وافقت على مجيئي إلى هنا بأنك توافق ضمنياً على أكثر من مجرد تأمين إقامة مؤقتة لي.

وحدجته بنظرة صائحة: «ولم لا؟ أذكر أوقاتاً كنت لا تملُّ فيها من صحبتي!».

وأخبرها نيكولاس بصبر: «منذ سنوات خلت، فيونا.. كانت نزوة وهذا كل شيء. تابعت مهنتك، وسافرت إلى الخارج وجلتِ العالم».

هكذا إذاً، فكرت ليغ وقد انقبضت معدتها.. كانا على علاقة وسواء حصل ذلك البارحة أم منذ عشر سنوات فقد بقيا على اتصال وبقيا

مقرّبين..

كانت لديه طبعاً علاقات مع نساء ولكن هل أحب فيونا؟ هل يحبها الآن دون أن يعي ذلك؟

وعدّل وضعه قليلاً ووقف على الرجل الأخرى ناقلاً وزنه إليها وقال: «انظري... عندما اتصلت بي أمي وسألتني ما إذا كنت أستطيع إيواءك، كنت سعيداً جداً بالانصياع لها. أنت على حق، فنحن نعرف بعضنا منذ زمن بعيد..».

ومدّت له يديها بحركة ملحة ثم أنزلتهما إلى جانبيها: «ويمكننا الاستمرار على هذا النحو يا نيكولاس. لقد خُلقنا لبعضنا البعض. هل فكرت في ذلك؟ أعتقد أن أهلنا اعتقدوا دائماً أنه سينتهي بنا الأمر معاً ربما... ولم لا؟ فلدينا قواسم كثيرة مشتركة».

لم يبد عليه الاستمتاع ولا الاقتناع بحجتها: «إنها أقل مما تعتقدين يا فيونا».

وسعلت ليغ لتنبههما إلى وجودها محاولة التخفيف من هذه المحادثة الحميمة ولتؤمن لها فرصة للرحيل.

لم تكن ترغب في سماع كل ذلك ولا الغوص بمجاهل ذكرياتهما.

فكرت لدقيقة خلت بفكرة مرعبة: «ماذا لو كسبت فيونا المعركة بحججها المنطقية؟ لقد كانت امرأة جميلة وهذا كاف لمعظم الرجال. ماذا لو جعلت نيكولاس يرى ما كان واضحاً وجلياً بالنسبة إليها وبالنسبة لليغ؟ ماذا لو أُجبرت على مشاهدتهما وهما يضعان خلافاتهما جانباً وقد أحاطا بذراعي بعضهما بعضاً في عناق قد يدوم الحياة بأكملها؟».

نظرت فيونا حولها واستقرت على ليغ.. فتبع نيكولاس اتجاه بصرها وسمعها تقول: «والأكثر من ذلك أنك ارتبطت بعلاقة مع...».

ـ دعي ليغ وشأنها.

ـ على العكس، إذ يتعلق كل شيء بها.

قالت ليغ بصوت جليدي: «أفضل ألا تحولا محادثتكما..».

www.liromance.com

كانت تلك الفرصة التي تنتظرها فتقدمت لتخطيهما إلا أنها لم تبتعد كثيراً لأن نيكولاس سألها محدّقاً فيها: «ما الذي تفعلينه؟».

بادلته التحديق بتحد قائلة: «أصعد إلى غرفتي. لا أعتقد فعلاً بأنني احتاج إلى أن أكون هنا، لأصغي إلى كل هذا. إذا كنتما تريدان أن تكملا محادثتكما الصغيرة، فاتركاني إذاً بمنأى عن ذلك».

وحمل صوتها الخيبة، والمرارة والغيرة ولكنها لم تستطع السيطرة على أعصابها. لم تستطع مواجهة عيني نيكولاس.

ـ ابقي مكانك!

أمرها نيكولاس فجمدت في أرضها.

وصاحت فيونا: «أريد أن أعرف ماذا يجري بينكما؟».

ومنحها نيكولاس نظرة متعالية ولكنها أكملت بسرعة: «لن يدوم ذلك مهما كان يا نيكولاس! استخدم عقلك! إنها استغلالية! ألا ترى ذلك؟».

احتجت ليغ غاضبة: «هذا غير صحيح!».

قال نيكولاس وهو يهز رأسه بقوة: «أظن أنّ الوقت حان لتغادري يا فيونا».

ـ ليس قبل أن تسمعني!

عندما نظر إليها نيكولاس وليس لديه النية في سماعها، انسحبت، وهي تهز برأسها مغرقةً أصابعها بذراعيها.

ـ أنت تدين لي بذلك على الأقل!

ـ وما الذي يجعلك تعتقدين ذلك، بحق الله؟

ـ لأننا نتشارك في ماضٍ.

ـ لقد نشأنا معاً بطريقة ما يا فيونا ولا أسمي ذلك مشاركة بالفعل.

ولكن عبارته رقّت. لقد شعر بالأسى نحو فيونا كما فكرت ليغ دهشة. بم ستفكر فيونا، يا ترى؟ وحصرت ليغ انتباهها بالوقت الذي سيسأم منها.

قالت فيونا وهي ترتد للحديث عن ليغ وكأنها لا تقف على مسافة عدة

أقدام بعيداً عنها: «إنها لا تناسبك!».

ونظر إليها بانزعاج وكأن المحادثة اتخذت منحىً مفاجئاً: «لا تناسبني!».

وأخبرته فيونا بنبرة من لديه حجة مقنعه: «إنها لا تنتمي إلى عالمك!».

اختفت التسلية من نبرته الآن فقال: «دعيني أوضح لك عدداً من النقاط. أولاً، لا يهمني أن تكون للمرأة التي أريد، الجذور نفسها. هل تصورتِ للحظة أن الانتماء إلى الجذور نفسها دليل قاطع على الحب والالتزام لمدى الحياة؟».

وضحك باقتضاب وفظاظة متابعاً: «وثانياً، يبدو أنك تعتقدين أن الزواج يقتصر بمجمله على العلاقات الاجتماعية وأنا لست بوارد التفتيش عن شريكة مثالية».

وشحب وجه ليغ إذ كان يتفوه فقط بما تعرفه غير أن الكلمات وقعت عليها كسكين. مدت يدها وراءها وتمسكت بطرف المجلى.

استدارت فيونا إليها وعلى وجهها تعبير النصر: «أتمنى أن تسمعي ذلك. يا لها من صفة لك! اعتقد أنك تخيلتِ أنه يكفي أن تقفزي إلى أحضانه لكي تتجولي بعد يومين معه لانتقاء خاتم الخطوبة!».

وهمست ليغ: «لم أفكر في شيء مماثل!».

صاح نيكولاس: «هذا كاف! أريدك الآن خارجاً يا فيونا! أؤكد لك أن اسمك لم يدرج يوماً في لائحة المرشحات للزواج بي».

وتحوّل وجه فيونا إلى احمرار متوهج وقالت: «افعل ما يناسبك ولكنك ستندم، نيكولاس كندل. ماذا برأيك سيشعر والداك عندما يعلمان بقصة ابنهما الوحيد وابنته غير الشرعية؟ أراهن أنك لم تذكر لهما كلمة عن ابنتك تلك!».

ضحكت فيونا ولم يبدُ السرور في ابتسامتها فقال نيكولاس بصلابة: «أنصحك بعدم التدخل في الأمور التي لا تعنيك».

www.elromancia.com

همّت بالخروج من المطبخ قائلة: «أم ماذا؟ هل تتخيل وجهيهما عندما يعلمان بأنك أب».

- ارحلي الآن قبل أن أفعل شيئاً أندم عليه.

ألقت فيونا نظرة أخيرة قبل أن تندفع من المطبخ تاركة وراءها صمتاً ثقيلاً ومزعجاً.

في النهاية، قالت ليغ: «أظن فعلاً بأن علينا الذهاب للنوم. أراك في الصباح».

وأومأ موافقاً ونظر إليها.. بدا أنه يتكىء إلى الطاولة مثبتاً يديه، محنياً رأسه.. بِمَ كان يفكر؟

هربت ليغ قبل أن يتسنى له أن يستدير. كانت تريد فقط الخروج من المطبخ، بعيداً عن وجوده بأسرع مما تقدر عليه. كانت مرتعدة بالكامل في الوقت الذي وصلت فيه إلى غرفتها فأرغمت نفسها على الاسترخاء.

لمَ كانت غاضبة كثيراً؟ ألم يبدُ جلياً بأن لا شيء قد حدث بين نيكولاس وفيونا؟ ألا ينبغي أن تفرح لذلك؟ اليوم، غادرت فيونا حياتها وهذا كاف وحده لأن يُشعرها بالفرح. جلست على المفارش محدقة في السقف.

كانت تحس بالراحة لأن بعض المواضيع المرهقة قد أُزيحت ولكن رغم ذلك، كانت تشعر بالحذر في داخلها.

لم تبدأ الأفكار التي قمعتها في رأسها بالظهور واتخاذ شكل إلا عندما بدأ النعاس أخيراً يغالبها. لم يكن مهتماً بالزواج ولا بالالتزام ولِمَ يهتم أيضاً إن كانت تناسبه أم لا، لأن كل ما يريده منها هو إشباع رغباته! تلك الحقيقة المخربة كانت تشتعل بخبث في داخلها. لم تكن ليغ تأمل شيئاً من مايك ولكن الأمور بدت مختلفة مع نيكولاس.. لم يكن لديها أدنى فكرة عندما بدأت الأمور تتخذ منحى مغايراً.. بدأت الأمور تتغير عندما شعرت أن الإثارة التي تشعر فيها بقربه باتت حاجة وعندما تحوّل ذلك الإدراك إلى جاذبية والجاذبية إلى حب. متى حصل ذلك؟ كيف يمكن

لذلك أن يحدث؟

فتحت عينيها وتقبلت الحقيقة المروّعة بأنها وقعت في حب نيكولاس كندال. هل فوجئت عندما اكتشفت استحالة الحياة بدونه.. تذكرت حين قال لها إن آيمي ستكبر وستقبل نيكولاس كوالد لها ولن تعود في حاجة إليها وبأنها ستستعيد حريتها لفعل ما ترغب فيه.. هذه الذكرى قلبت معدتها وقد فهمت الآن السبب. لم تكن تريد حريتها.

وماذا الآن؟ الحب والزواج ليسا خياراً مطروحاً وهي لا تنوي الابتعاد تاركةً آيمي وراءها. كان رأسها يعج باستفهامات لا جواب لها وأخيراً وافاها النوم. بدا لها أنها لم تغفُ سوى خمس دقائق حين شعرت بيد تهزها. فتحت عينيها لرؤية ايمي مرتدية كامل ملابسها تحثها على الاستيقاظ وهي تقف قرب سريرها.

لم تكن ليغ قد أنهت توضيب حقائبها بعد وكانت الساعة تجاوزت التاسعة عندما نزلت لتجد نيكولاس جالساً ينتظرهما. قالت آيمي غير مصدقة وكأن النوم في النهار هو خارج مفهوم العقل البشري: «كان علي إيقاظها!».

نظرت ليغ مباشرة إلى نيكولاس وقالت: «كنت متعبة».

بادلها نظراتها دون أن يرف له جفن: «كانت أمسية متعبة».

أحست وكأنهما يدوران في حلقة مفرغه محاولين استنباط طبيعة المشاعر البادية على الواجهة بعد تدخل فيونا مساء امس.

- تماماً.

وتساءلت ليغ في سرها كيف تتخلى عنه؟ هي تحتاج إليه بكل قواها ولكن عندما ينتهي كل شيء، فسترحل وتنتقل بعيداً لذا ابتسمت بتردد: «آمل ألا أحظى بأمسية مماثلة مجدداً».

قال وهو ينحني لالتقاط حقيبتها قبل أن يحثها على الخروج من الباب الأمامي: «أعتقد بأن ذلك يمكن تدبُره».

ونظرت آيمي نحوهما: «كم سيستغرق وصولنا إلى هناك».

قال نيكولاس وهو يفتح الباب الخلفي لتدخل آيمي منه: «آه، بضع ساعات، إن لم نعلق وسط الثلوج».

ـ الثلج!

أضاف نيكولاس بجد: «أجل، ذلك الشيء الأبيض الذي يراه سكان لندن فقط على بطاقات الميلاد».

وضع الحقيبة في الصندوق وانطلقوا فيما استمر بتزويد آيمي بأخبار عن العواصف الثلجية.

أخبرته ليغ عندما انسحبت آيمي قليلاً إلى مقعدها الخلفي: «آمل أن ينهمر الثلج لمصلحتك، أقله لدى إقامتنا هناك وإلا فستكون مصداقيتك على المحك».

نظر إليها جانبياً وابتسم: «أجل، حسناً، سأرى فقط ما يمكنني عمله».

واسترخت ليغ وأخبرت نفسها بأن عليها ألا تتوقع المزيد وبأنها ستكون سعيدة بما لديها فآيمي مسرورة في المقعد الخلفي والرجل الذي تحبه، جالس قربها. غمرتها أقله في الوقت الحاضر سعادة لاستمرار علاقتها به.. أحست أنها تومىء بالرفض عندما قال بهدوء: «بشأن الليلة الماضية...».

وفتحت عينيها وسألت بحذر: «وماذا عن ليلة أمس؟».

لقد قررت الاعتياد على ذلك، على تلك البرودة التي تسري فيها عندما يزف لها صوته أنباءً سيئة.

أليست تلك هي العوارض الكلاسيكية للحب من طرف واحد؟

بدأ نيكولاس بالقول: «لقد اختفت فيونا من أمامنا».

ـ كانت خائبة الأمل.. لطالما أملت المزيد وهذا ليس غير اعتيادي.

توقفت ثم أكملت بسرعة قبل أن يتمكن من قراءة ما بين السطور: «أعني، تأمل بعض النساء على ما اعتقد في الزواج، لذا يصدمن عندما تفشل الامور».

لم يعلّق نيكولاس على ذلك فوراً والتزمت ليغ الصمت ملتفتة خلفها للتأكد من أن آيمي نائمة ولا تصغي إلى ما يقال. سأل مستفسراً: «ألم يحصل لك ذلك قط؟».

فضحكت آملة أن يحمل صوتها النبرة المناسبة: «حمداً لله».

لم يقل شيئاً فافترضت ليغ أنه منهمك في التركيز على الطرقات. قال نيكولاس بصوته المعتاد: «أفترض بأنك لا تزالين يافعة لتخططي لأمور كالزواج والاستقرار».

ـ أفترض ذلك.

ـ سيأتي الرجل المناسب.

قال ذلك بمقدار كبير من التسلية التي أثارت حفيظتها فقالت: «لا تقحم نفسك في المسألة!».

ـ من يعلم؟

وبما أن الحديث لن يفضي إلى نتيجة، التزمت بالصمت الذي ساد لفترة قصيرة بينهما قبل أن تعقب بفضول: «هل كانت فيونا محقة؟ عندما قالت إنك لم تخبر والديك عن... أنت تعلم؟».

ـ لم أخبرهما، لا.

وسكتت ليغ منزعجة مدركة فجأة بأنها تفتش عن حجة للصراخ في وجهه.

فكرت في أنه يشعر بمزاج مماثل لها وذلك يبدو واضحاً من خلال خط فمه الملتوي عندما قال أخيراً: «سأقول لهم متى أصبح جاهزاً».

ـ ومتى يكون ذلك؟ تقيم الأرض وتقعدها بشأن الوقت المناسب لإطلاع آيمي ويبدو أنك لا تفعل شيئاً مماثلاً في الظاهر.

ـ أقفلي الموضوع يا ليغ.

فسكتت بدافع تهذيبي ثم أردفت: «لا، لا أظنني سأفعل. هل تتصل بهما أم لا؟».

ـ طبعاً، أتصل بهما.

همست: «هلا حاولت إخفاض صوتك فآيمي نائمة!».

رمقها بنظرة حرمان ولكنها قالت: «ماذا كنت تقول الآن؟».

وهمس بصوت منخفض دون تفكير: «نساء متسلطات!».

فقالت ليغ: «حسناً، على أحدهم أن يتصرف على هذا النحو معك».

وزحف الاحمرار المفاجىء إلى وجهها وانتظرت أن يقول لها بصوته البارد بأنه لا يتلقى أوامر من أحد ولكنه في المقابل أضاف موضحاً: «لا تربطنا علاقة وثيقة فنحن أصدقاء على ما أفترض، ولكننا لا نرى بعضنا بعضاً إلا ثلاث مرات في السنة ولذا نتصرف بطريقة رسمية».

- ولمَ ذلك؟

سألها وقد شاب صوته ملامح صبيانية حذرة: «وهل تحلليني؟».

- أجل في الواقع. لِمَ لا تقيم علاقة مقرّبة مع والديك؟

- المدرسة الداخلية. لقد أرسلت إليها في السابعة من عمري.

- مسكين. لا أستطيع تصوّر آيمي.

- قطعاً لا. لن أفعل أبداً الشيء نفسه... بغض النظر عما حصل معي...

- سيصدمهما الخبر.

- لهذا، كنت أرجئه على ما افترض.. كما أنه من العدل أن..

وألقى نظرة خاطفة نحو المقعد الخلفي: «أريد أن أضعهما أولاً في صورة الوضع».

- أجل، أعتقد هذا.

نظرت من النافذة وغرقت في أفكارها فرأت أنهم يتركون لندن وراءهم. عندما أفاقت آيمي، بدأ نيكولاس الذي بدا شارداً بأفكاره على مثالها، الحديث مع ابنته واصفاً بيته في الريف. كان يبتسم لأسئلتها المفصّلة عن عدد الغرف ومدى اتساعها.

تدخلت ليغ بحديثهما بصورة متقطعة منفّسة ببطء عن توترها. لقد أعادت النظر بتصورها عن منزله من خلال الوصف الذي تبرّع به لآيمي

ولكنها صدمت حين وصلا بعد ساعة ونصف. ابتعدت السيارة عن الطريق ودخلت أخيراً بين بوابة حديدية لتستقر أمام قصر واسع بشكل لا متناه.

ترجلت آيمي من السيارة ولم تستطع أن تتأمل البيت جيداً نظراً للفوضى العامة التي رافقت عملية إفراغ ونقل الحقائب فضلاً عن التعريف بالفريق الذي أعدّ الغرف وحضّر المأكولات والذي حرص على تدفئة المكان.. تحلّق الجميع حول آيمي رغم أنهم لم يتفوهوا بكلمة ولكنها استطاعت قراءة ما كان يجول في أفكارهم، وهم يتبادلون النظرات بين بعضهم. عندما نُقلت الحقائب إلى الغرف الرائعة قال لها نيكولاس مبتسماً وهما في الطريق إلى الداخل: «حسناً، ما رأيك؟».

علّقت ليغ بذهول: «اعتقد أن فتاة مسكينة مثلي قد تضيع في مكان كهذا».

- سأحرص على عدم حصول ذلك.

كان اقتراحه الدافىء الذي خبأ مغزى مبطناً قد أرسل فيها موجة من السعادة التي سرت في عمودها الفقري فاقترحت: «يمكنك ربما أن ترسم لي خريطة».

قال ضاحكاً: «سأضمّنها كل الممرات المؤدية إلى غرفتي».

أحست أن قدميها لا تطآن الأرض إلى أن جلسوا الثلاثة في غرفة الجلوس، التي كانت أصغر حجماً وأكثر حميمية من سائر الغرف الرسمية المتعددة. وفي هذه الغرفة نصبت شجرة الميلاد الضخمة الممتدة إلى السقف العالي. تجوّلت آيمي قرب جذعها محاولة تثبيت الزينة عليها فيما وقف نيكولاس على سُلّم وعلّق الزينة في الأعلى بالطريقة نفسها. تذمّرت ليغ وهي تقول: «أنتما تضعان الكثير من الزينة من جهة اليمين».

كانت ليغ تراقب المكان من حولها حيث كانت جالسة تصلح الزينة وأعقبت بذورها: «لقد بدأت الشجرة تميل».

نظر إليها الأب والابنة معاً بتعبير الذهول نفسه.

- وأنت لا تنتقين ألواناً متناغمة فهناك الكثير من الألوان العاجية على

www.elromancia.com

هذا الغصن كما أن ذاك الملاك على القمة...

قاطعتهما ليغ وهي تهز برأسها: «هل هي بخير؟ أعني أنها تبدو منحنية كما لو أنها أسرفت في الشراب».

تعبيرها أضحك آيمي بعمق. تمنت ليغ لو يستمر هذا الوضع للأبد، هذا الإحساس بالسلام والفرح.

ولكن ذلك كان وهماً... كانت الزينة طبعاً للأوهام بخلاف العتمة السائدة في الخارج. أما المنزل فبدا جميلاً والنار تغرّد في الموقد. خلعت حذاءها وفركت أصابع قدميها من البرد. لقد بدت ساحرة ببنطلونها الجينز الباهت وقميصها الأزرق ولكن ليغ كانت تظن أن ثياب الكشمير واللآلى أكثر ملاءمة لهذا الجو إلا أنها لم تكن تحفل بذلك.

بعد الانتهاء من تزيين الشجرة سألت آيمي آملة: «وماذا عن الهدايا؟».

فقالت ليغ وهي تنظر إلى ساعتها: «لم يأتِ بابا نويل.. ولن ينزل من تلك المدفأة إلا بعد بضع ساعات».

- لا، أنا لا أعني تلك الهدايا بل الهدايا التي تلقيتها من أصدقائي في لندن.

وأخبرتها ليغ بكسل: «حسناً، يمكنك إحضارها ولكن أسرعي فلقد حان موعد نومك».

- بهذه السرعة؟

- أجل فالفتيات الصغيرات يحتجن إلى المزيد من النوم ليبدين جميلات ومتألقات في الصباح.

فقال نيكولاس متوسلاً: «ولكنها تستطيع البقاء مدة أطول الليلة. أليس كذلك؟».

كان سحرهما المشترك كافياً لإشعارها بالصداع كما فكرت ليغ: «حسناً ربما نمنحها نصف ساعة إضافية».

وهكذا، أحضرت الهدايا الملفوفة بعناية من أصدقاء آيمي في

المدرسة ومن عائلتين صديقتين لهما. وضعتها بحذر تحت الشجرة ووزعتها لكي تبدو متناسقة.

فكرت ليغ في أنها على وشك النوم فلقد بدأت عيناها تثقلان ثم فجأة انفتح باب غرفة الجلوس ودخل شخصان إلى الغرفة وأخذت اعينهما بالبحث عن نيكولاس ثم عن آيمي. كان صوت المرأة حاداً ومهذباً رغم أنها كانت تتنفس بسرعة وكأنها على عجل وبدت متأنقة بعناية. كانت ترتدي فستاناً أزرق طويل الأكمام وزوج أحذية زرقاء يتوسطه شريط جلدي. كانت طويلة وقوية البنية ولكنها لم تكن زائدة الوزن.

ليغ التي جمدت أرضاً لحظة دخولهما، أدركت على الفور هويتهما فأحست بنوبة ذعر تسري فيها. لم تكن تنظر إلى نيكولاس بل إلى آيمي التي انتبهت لوجود هذين الغريبين فالتجأت إلى ليغ وقال نيكولاس: «أمي، أبي ماذا تفعلان هنا بحق الله!».

للمرة الأولى، رأت ليغ نيكولاس مرتبكاً ولكنه سرعان ما تقدم نحو والديه وقبّل أمه على وجنتها. وسأل بصوت أكثر هدوءاً واتزاناً: «ماذا تفعلان هنا؟»

وأمسكت أمه بذراعه ونظرت إليه بانتقاد.

أما والده الذي تبنى موقفاً أقل مأساوية، فوقف وراء زوجته ووضع يديه على كتفيها. كان طوله يوازي طول ابنه، فذهلت لرؤية التشابه بينهما رغم أن شعره بات رمادياً وأن وجهه كان حزيناً. قال: «أظن أنّ علينا الجلوس. تفضلي هيلاري فآخر ما أريده هو مشكلة».

تعلقت آيمي بيد ليغ بحزم لأنها شعرت بالتوتر السائد في الجو.

راح والده يقول فيما كانا يجلسان على الأريكة: «لقد تلقينا اتصالاً غامضاً من فيونا».

ثم نظرا معاً إلى آيمي. توجه نيكولاس عندها إلى ليغ بالقول: «ليغ، أظن أن من الحكمة أن تأخذي آيمي إلى فوق الآن».

وأمسكت ليغ بيد قريبتها وأومأت موافقة دون مقدمات وقد أدركت

السبب.. كان كلاهما يعلمان من تكون آيمي ومن تكون هي كذلك.. وحده الله يعلم ما أخبرتهما به فيونا ولكنها كانت مستعدة للمراهنة بأنها لم تقل شيئاً ليس فيه شحنة من الخبث.

عندما مرت قربه قال: «أرجوك، انزلي، عندما تخلد آيمي للنوم».

وسألت آيمي عندما خرجا من الغرفة: «هل هما والدا نيكولاس. ماذا يفعلان هنا؟ لم تخبريني أنهما قادمان».

وقالت ليغ شاردة: «لأنهما اعتقدا بأنها ستكون مفاجأة لنا ربما».

ـ لم يبدُ نيكولاس سعيداً.

ـ أنا متأكدة من أنه كذلك.

ووجدت نفسها تتكلم مع آيمي مجيبة عن تساؤلاتها ولكن فكرها كان بعيداً آلاف الأميال عنها. غمرها إحساس رتيب بالخضوع. لو عاد القرار لها، لبقيت حتماً في الغرفة ولكنها لم تستطع لأنها أدركت بغض النظر عن طلب نيكولاس بأن عليها النزول لاكتشاف ما يخبئه القدر لآيمي.. بدت والدته أهدأ حين عودتها. لقد كان وضعاً غريباً... حينئذٍ عم الصمت الذي قطعته هيلاري كندل قائلة: «أعتقد بأنك خالة الصغيرة».

ـ اسمها آيمي، ماما.

ـ علي أن أقول بأنني مرتبكة جداً لهذا.

وشرح لها نيكولاس بصوت قاس: «يبدو أن فيونا قد اتصلت بوالديّ فور مغادرتها المنزل».

قالت ليغ متوجهة إلى أمه وهي تحاول عدم الظهور كجبانة: «إذاً أنت تعلمين بأن آيمي هي حفيدتك».

فقالت السيدة كندال: «ولكنها ابنته غير الشرعية يا عزيزتي.. لم يكن هذا ما خططناه لابننا».

تدخّل والد نيكولاس بصوت محذر: «نحن فرحون طبعاً ولكننا ننتقد أسلوبه في انجاب وريث».

ألحت السيدة كندال: «ليس بهذه الطريقة».

ـ حسناً، أمي، لديك خياران. إما أن تقبلي بشرف أو لا، هذا يعود لك.

ـ أخشى أنه محق يا هيلاري.

وخلصت السيدة كندل: «تحمل الطفلة شبهاً صاعقاً بك عندما كنت صبياً ولكنني لا أبالي بما يقوله الناس. لقد كان ذلك صدمة مرعبة وأعلم أنك قلت يا نيكولاس إنك كنت ستطلعنا على كل شيء ولكنني أشعر بألم».

ـ أنا آسف حقاً يا أمي إنما لا داعي لمناقشة الأمر مجدداً فلقد انتهى ذلك.

قالت السيدة كندال وهي تعدّل جلستها لكي تستطيع مواجهة ليغ: «وأنت عزيزتي. فهمت بأنك استخدمت من قبل ابني للعناية بابنته».

ردت ليغ ببرود: «أنا أمت للطفلة بقرابة».

ـ لقد أخبرتنا فيونا عنك أيضاً.

ـ إذا كنت تتحلين بالمنطق يا أمي، فعليك تجاهل كل ما قالته فيونا. فلقد أعلمتكما الآن بما فعلته فيونا.

قالت السيدة كندل: «ولكنني أود أن أعرف، والدك أيضاً يريد أن يعرف ما الذي تعنيه تلك المرأة لك. أنت تسامحني عزيزي، ولكن بما أن فيونا توسعت في الكلام عن الموضوع، فنحن لا نعلم شيئاً عنك».

قالت ليغ بصوت رضي: «افهم تماماً. حسناً سأخبرك بأن والدي ماتا وأنه ليس لدي عائلة لألجأ إليها ولا مال ولا أقرباء ولا حساباً مصرفياً ضخماً حتى. لم أذهب للتزلج يوماً في الشتاء ولم اذهب إلى «سان تروبي» في الصيف، هذا هو اول قصر تطأه قدمي. لم اعش في منزل يسع أكثر من ثلاث غرف نوم. كنت طالبة فنون فقيرة قبل أن اضطر لإعالة آيمي وسأكمل دراستي اعتباراً من كانون الثاني المقبل. بكلمات أخرى، أنا فخورة بمنشأي ولم أتذمر يوماً من الحياة التي أعيشها».

عندها، أدركت أنها تتكىء فقط إلى حافة الكرسي متمسكة بجانبيه

www.elromancia.com

بأصابعها.

وابتسمت السيدة كندال فلمحت ليغ فيها السحر الذي أورثته لابنها وتابعت: «ولكن عزيزتي، ضعي ذلك جانباً. هل تحبين الحدائق؟».

بادلتها ليغ الابتسام: «آه الحدائق؟... اجل، أحبها».

عندها، سأل نيكولاس بحزم: «هل هذا ملخص كافٍ لك يا أمي، لأنني آمل أن أقنع هذه الفتاة بأن تصبح زوجتي!».

***

١٠ ـ عيد سعيد

بعد أن غادر والداه الغرفة، دخل نيكولاس وجلس بالقرب من ليغ على الأريكة.

هل أخبر والديه عن نيّته بالزواج بها؟ أقال ذلك؟ هل أخطأت السمع أو أن ما قاله كان مجرّد مزحة راقية؟ قال لوالديه بحزم إن عليهما أن يخلدا للنوم، وعليه أن يتحدث إلى ليغ. لقد حدث ذلك منذ حوالى بضع دقائق، والآن يبدو أن ساعات مضت على إعلانه المميّز. كانا جالسين على الاريكة على مسافة قدمين من بعضهما بعضاً.

شعرت وكأنها بطلة أحد الأفلام بالأبيض والأسود تحافظ على هدوء طبعها وسط عاصفة من المشاعر.

سألها وهو مستلق بعد أن بسط ذراعه على مسند الأريكة: «أليس لديك ما تقولينه؟».

أجابت ليغ: «أضعت الكلمات».

ـ وهل اعتبر هذا رداً سلبياً على اقتراحي؟

لم ينظر اليها لدى قوله ذلك بل حدّق بعيداً ونقر بأصابعه بكسل على مسند الأريكة.

ـ لماذا؟

ـ لماذا؟

نظر إليها أخيراً.

ـ لماذا؟ جعلت الأمر يبدو وكأن أحدهم يقترح عليك الذهاب في

www.elromancia.com

رحلةٍ إلى القمر.

- ليس هذا ما قصدته، وأنت تعلم ذلك، يا نيكولاس! هل تذكر عندما تحدثت مع فيونا من فترة وجيزة أنك قلت إنك لا تبحث عن الالتزام، فأنا لا أدرك...

- لذلك مغزى، ألا تظنين؟

- وما هو ذلك؟

- أنا شخصياً أؤمن بأن الولد يحتاج لعائلة متّحدة. بامكاننا تأمين عائلة لآيمي. أنا والدها الطبيعي وأنت خالتها... فهل من شيء أفضل؟ راقبتكما معاً.. بينكما... رابط طبيعي، من الصعب على أحد تأمينه.

- إذاً، دعني أفهم الأمور جيداً. تقدمك إلي هو بمثابة صفقة عمل، أليس كذلك؟

شعرت بموجة غضب تعتريها، ثم أردفت: «قرّرت أنني أمثّل مرشحة مناسبة للزواج، آخذاً آيمي بعين الاعتبار»

نهضت وبدأت تذرع الغرفة، تشبك أصابعها تارة وتفكهما تارة أخرى.

توقفت قرب رفّ الموقدة، وحدّقت فيه ثم اختصرت حركتها، فقال: «فكري في الأمر منطقياً! إن لم نتزوّج، فسوف تغادرين تلقائياً لتعيشي حياتك، وستنقطع صلتك بآيمي. ربما ليس فوراً، إنما مع الوقت. ستخفّ الزيارات، وتلتقين بأحدهم، وتستقرّين، وتخططين لعائلة خاصة بك والرابط بينك وبين آيمي سينكسر إلى الأبد، أما بالنسبة لي، فسوف أتزوّج. قد أترك البلاد واستقر في مكان آخر».

- سوف تعيش في الخارج؟ منذ متى وأنت تدرس هذه الخطة؟

- لم أكن أعمل على أيّ خطة! لا أكاد أقدم سيناريوهات محتملة.

- إذاً.

تقدمت إلى حيث كان جالساً ووقفت أمامه ويديها على ردفيها.

- نحن نتزوج، آيمي تطير فرحاً، وماذا عنّا؟ أو بالأحرى، ماذا عنّي؟

أظن أن هذه الخطة الصغيرة تتضمن أن ننام معاً، ومن ثمّ، بعد أن تملّني يمكنك أن تشعر بحرية البحث خارجاً عن... اللهو!

- هل سيزعجك ذلك؟

هل يزعجها؟ إن مجرد التفكير في الأمر كان كافياً لتشعر بالمرض. ها هو يجلس يخطط ببرودة لحياة زوجية آمنة. ولكن، وفقاً لأي نمط، بالنسبة له؟ إنه كابوس من وجهة نظرها. لا يمكنها تصوّر أسوأ من أن يكون عليها قضاء ما تبقى من أيّامها على هامش حياة نيكولاس بينما يستمرّ في حياته بعدما أقدم على زواج مثالي لأجل ابنته.

- عليّ رفض عرضك. فللزواج أبعاد تتخطى حدود المنطق.

- أنت نموذج امرأة القرن الواحد والعشرين، ليغ.. قلتِ لي ذلك بنفسك.. ألستِ بصدد البحث عن الالتزام؟ لماذا تتضايقين من زواج مصلحة؟ إلى جانب ذلك، ستستطيعين التمتع بكل الامتيازات التي يشتريها المال...

- لا أبالي بمالك! تعلم ذلك!

إن اقتراح قبولها لعرضه مقابل التمتع بثرائه هو بمثابة الإهانة.. سألته وهي ترتجف: «أنت لا تفهمني. أمضيت حياتك محجوزاً في برجك العاجي، غير مبال باستثمار عواطفك في أي شيء! تظن أن بامكانك ترتيب كل الأمور في حياتك وفقاً للأنظمة والعقل والمنطق والعقلانية!».

- لماذا تتصرفين وكأن عرضي للزواج بك هو صفعة على وجهك؟

- لأنه كذلك! عندما أفكّر بعروض الزواج أفكّر بـ...

- بالحب؟ بالاعجاب؟ بالتقدير؟

- نعم، في الواقع... نعم! أيزعجك الأمر؟

- إذاً، لو عرضت عليك الزواج بدافع الحب، لقبلتِ.

- هذا خارج عن الموضوع.

مشت في اتجاه آخر غير مبالية بهذا الجزء من الحديث، ولكنه نهض وأمسك بمعصميها.

- حسناً. أحبك فهل تتزوجينني؟

- ليس من داع للكذب؟

بقي صامتاً لفترة طويلة إلى أن نظرت إلى وجهه أخيراً، لكنها لم تتمكن من رؤية تعابيره لأنه استدار.

من المضحك كيف سادت الأجواء في الغرفة. لم تلاحظها فعلاً حتى الآن. كانوا قد اسدلوا الستائر في وقت مبكر وتخيّلت ما عليه الوضع في الخارج. الطقس بارد وعاصف يشوبه جوّ الميلاد الرائع. كانت آيمي تغط في فراشها فوق، تحلم ببراءة.

همس بخشونة: «لا أكذب».

انحنت قليلاً لسماع ما كان يقوله: «ماذا؟».

- قلت إنه يبدو ذلك...

حدّق فيها ثم أحنى رأسه برفق باتجاهها على الأريكة وقال من جديد:

- يبدو أنني لا أعرف كيف حصل ذلك... لم أراهن على شيء مماثل... ولكن يبدو أنه...

استطاعت سماع نبضات قلبها القوية كقرع طبول في داخلها: «ماذا تحاول أن تقول؟».

- أحاول أن أقول بأنني... أجل... أنا.

- تحبني.

- قبل أن تهمي بالرفض، أدرك أنك ما زلت يافعة، أدرك بأن هناك أموراً ربما تودين القيام بها في حياتك. أدرك ذلك، فأنا لست أحد أولئك الرجال الذين يقفون في طريقك. وقبل أن تقولي لي إنك لا تريدين التزاماً وإنك لا تحبينني، اسمعيني فقط. يمكنك أن تتعلّمي كيف تحبيني.

قال ذلك بسرعة وهو لا يكاد يرى عينيها ولكنّ أصابعه ما زالت مطبقة بحزم حول معصميها: «تعلّم... تعلّم حبك».

حدجها بنظرة سوداء متحديّة: «هل يفوق ذلك حدود امكانياتك؟».

أخفضت عينيها وسألته: «كيف يمكنك أن تعلّم أحداً أن يحبك؟».

أحست بدوار لذيذ. هل كانت تحلم؟ لو أنّها كذلك لتمنّت ألا تستيقظ أبداً. لمست جانب وجهه بلطفٍ بإصبعٍ واحد قائلة: «الوقوع بالحب يشبه التعرّض لاصطدام شاحنة. إنه نوعٌ من الرذاذ الذي ينتشر بسرعة فلا نعود نحفل بأي شيء. لقد شعرت بذلك نحوك منذ وقت طويل، منذ الأبد».

ابتسم لها تلك الابتسامة البطيئة والرائعة التي تجعل قلبها يقفز من مكانه. همس وهو يداعب مؤخرة عنقها بأصابعه: «لمَ لم تخبريني؟ ظننت أنني قلتُ لك إنه يفترض بك اطلاعي على كل شيء».

انحنى نحو الأمام وعانقها برقة وشغف بدون عجلة. تنهدّت لبغ وأحاطت عنقه بذراعيها قائلة بنعومة: «إذا كنت أحلم لا تقرصني، أرجوك دعني أكمل نومي».

- أحبك يا لبغ. أجهل متى حدث ذلك ولكنك توقفت عن الظهور كغريبة حاولت قلب عالمي وأصبحت شخصاً أساسياً. في البداية قلت لنفسي بأنني أجدك مهمّة لأنك خالة آيمي ولأنك جسر إلى ابنتي ولكن الواقع هو أنك التصقت بجلدي. بدأت أفكر فيك ليلاً نهاراً. كنت أتحرق شوقاً للعودة من العمل لكي أتمكّن من رؤية وجهك وسماع صوتك. اكتشفت فجأة أن الشعر القصير والملامح العنيدة وأن ارتداء الجينز والكنزة الفضفاضة هي أجمل الأشياء في العالم.

وعانقها فشعرت بعرقٍ ينتفض في أوداجها. لن تشكّ أبداً في وجود معجزات.

سألت بقلق: «هل أنت متأكد؟ ماذا عن فيونا والأشياء التي قالتها بأننا من عالمين مختلفين..».

- حمداً لله على ذلك. أكره الزواج بنسخة عني وإلى جانب ذلك لقد تخليت منذ زمن طويل عن الحياة الحافلة. لا أختلط بالناس الماجنين فأنت تعلمين أن هذه الأمور قد تكون محبطة لذا أغرقت نفسي بالعمل.

عندما ظهرت في النادي تحملين لي ابنةً لم أدرك أنني أنجبتها قطّ، هالني الأمر ولكنني كنت فضولياً أيضاً. وعندما أصبحت وآيمي جزءاً مهمّاً في حياتي، أدركت أخيراً ما فوّته.

- والداك... ماذا سيعتقدان؟

- سيعتقدان أن الوقت حان لتأتي امرأة تعسة الحظ وتخطف ابنهما من يديهما. عادة يسبق الزواج الأطفال. ولكنهما سيتقبلان ذلك بطريقة أفضل مما تعتقدين، كما أن أمي تحبك، وها قد كسبت نصف المعركة.

ضحكت ليغ ملء حنجرتها: «لديها حتماً طريقة فريدة في إخفاء الحقيقة».

- لقد استحقيت ابتسامة منها وهذا شيء مهم، أؤكد لك بأنها اعتادت على المباهج عندما تزوجت والدي ولكنّها تقدر النوعية الجيدة.

أخبرته ليغ: «لست جميلة بقدر فيونا ولا أنيقة أو معقدة مثلها».

- أنت تقللين من قدرك، عزيزتي.

كانت تلك أول عبارة تحبيبة تسمعها منه وقد كانت طبيعية ما جعلها ترتجف من الفرح. وعندما بدأ يعانقها بشغف وجوع ارتدت عنه قائلة: «والدك في البيت؟».

ابتعد عنها وضحك قائلاً: «لماذا؟ هل تظنين أنهما وراء الباب يترقبان سماع أصوات خارجة عن القوانين؟».

- من الممكن أن يكونوا كذلك.

ضحك لمجرّد التفكير بالأمر وقال: «أظن أن باستطاعتي الصمود في الوقت الحاضر على الأقل فقط وعلينا الخلود إلى الفراش. أسرعي إلى غرفتك لأنني لا أضمن نفسي أبداً».

***

كان الجو هادئاً. الأنوار على شجرة الميلاد تبرق وسط الغرفة

المظلمة، والهدايا تحت الشجرة.

لم يكن على آيمي إيقاظها صباح اليوم التالي. كانت ليغ مستيقظة وقد فتحت الستائر لتتأمل رقع الثلج التي تتساقط متناثرة في الخارج.

- الثلج يتساقط!

التفتت ليغ وابتسمت لابنة اختها: «مجرد هدية صغيرة أخرى أحضرها لك بابا نويل».

قالت آيمي ممسكة بيدها: «أتساءل ماذا أحضر لنا أيضاً».

- ربّما أكثر ممّا تتوقعين.

عندئذٍ سمعا قرعاً خافتاً على الباب وراحا يترقّبان الداخل الذي كان نيكولاس. دخل الغرفة ورفع آيمي في الهواء وقبّلها ثم أنزلها قائلاً: «ميلاد مجيد أيتها الصغيرة».

ثم التفت إلى ليغ وابتسم قائلاً: «ميلاد مجيد أيتها الكبيرة».

لمس وجهها وعانقها، ثم نظر إليها فردت عليه بالإيجاب، وقد قرأت نواياه وأدركت أن الوقت حان.

عندها جلسا مع آيمي وأخبراها، برفق وحذر شديدين. ولدى انتهائهما سألت: «أنت أبي؟».

وحين هزّ رأسه سألته: «هل أناديك بابا؟».

- لا بأس بنيكولاس. أوافق على ما تجدينه مناسباً.

ابتسمت ليغ لما شاهدته في ملامح ابنة اختها.. الذهول، الصدمة، وانفراجات السعادة.

ثم قالت آيمي: «عندما كنت أصغر سناً كان لديّ (بابا). أما الآن فأظن أن (أبي) سيكون مناسباً».

قالت ليغ وهي تحتضنها: «وستحظين بليغ».

ابتسمت آيمي وقالت: «إذا حظيت بأمّ، فسيكون الوضع أفضل».

نظرت ليغ إلى نيكولاس من فوق رأس آيمي وقالت: «وستحظين بجدين يتحرقان للتعرف إليك».

ابتسمت آيمي بعد أن اطمأنت إلى استقرار العائلة وقالت بواقعية: «هلا نزلنا؟ أريد أن أرى ما أحضره لي بابا نويل!».

***

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة